



سلسلة تراث الآل والأصحاب (١٢)

إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب

طارق محمد الطيار

مراجعة مركز البحوث والدراسات بالمبرة

إدارةالوقت

في تراث الآل والأصحاب



عنوان الكتاب : إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب .

اسم المؤلف : طارق محمد إبراهيم الطيار .

نوع المطبوع : كتاب - الطبعة : الأولى - عدد الصفحات : ٢٥٣

السلسلة : تراث الآل والأصحاب (١٢)

الناشر : مبرة الآل والأصحاب.

ص.ب. ١٢٤٢١ الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٥٥ - ت : ٢٥٦٠٢٠٣

ردمك: ٦ - ٤٩ - ٦٤ - ٩٩٩٦٦ - ISBN ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م



هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

E - mail: almabarrh@gmail. com

www. almabarrah. net



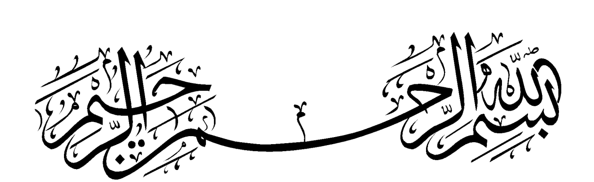


سلسلة تراث الآل والأصحاب (١٢)

إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب

طارق محمد الطيار

مراجعة مركز البحوث والدّراسات بالمبرّة



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مبرة الآل والأصحاب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين الغر الميامين، أما بعد؛

فلا ريب أن للقدوات الصالحة أثرًا بالغ الأهمية في الارتقاء بحياة الأمم والشعوب؛ وذلك أنهم هم الذين يقدمون الدليل الواقعي والتطبيق العملي للتعاليم التي تمثّل منظومة القيم والأخلاق التي تشكّل هوية تلك الأمم، وتعتبر مثالها السامي الذي تستهدف احتذاء حذوه والاهتداء بهديه.

وقد نبّه القرآن الكريم على ذلك المعنى وأشاد به في آيات كثيرة، مبينًا فضلَ الاقتداء بالأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقال عقب ذكر صفوةٍ من رسله وأنبيائه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال عزّ مِن قائل: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وغير ذلك مما يفهم من النصوص بأدنى تأمّل.

والواجب على أمتنا الإسلامية أن تصوغ رؤيتها الأخلاقية والقيمية والحضارية انطلاقًا من الوحي قرآنًا وسنةً، في تناغم مع معطيات العلم في جميع المجالات، ومواكبةٍ لمستجدات العصر الذي نعيش فيه وما يزخز به من تحدياتٍ عظيمة. فلا يحسن أن نقتصر في تدبرنا للوحي على مجرد الأمور الدينية العبادية المحضة، فإن الوحي قد أنزله الله هدى ونورًا للإنسانية تنتفع به في معاشها ومعادها، وإن كان مقصوده الأساس الفلاح الأخروي وما يقرب إليه؛ إلا أنه لا شك في كونه يرشدنا بهداياته في جميع مناحي الحياة العملية، ولو في صورة ضوابط ومعايير وقيم كلية نافعة، نستلهم منه ما يرضي ربنا ويحقق فلاحنا في الدنيا، مع عدم إغفال البحث والعلم في جميع المجالات بأدواتها ووسائلها.

ونحن إذا ذهبنا نستلهم قيم الوحي على مختلف الأصعدة العلمية والسلوكية؛ لم نجد امتثالًا وتطبيقًا وتفعيلًا؛ خيرًا مما نجده عن صحابة النبي ﷺ الأخيار وأهل بيته الأطهار، فهم الذين انتهجوا الوحي كتابًا وسنة في جميع جوانب حياتهم، فسادوا وقادوا، وصاروا أئمة أعلامًا هداة.

وقد أخذت **(مبرة الآل والأصحاب)** ـ كعادتها ـ على عاتقها مهمةَ تفعيلِ ذلك المعنى، وتقديمه في صورة بحثية توعوية منضبطة؛ لكونها مؤسسة متخصصة في تراث الآل والأصحاب حتى صار لها ـ بفضل الله ـ الريادة في ذلك المجال.



وقد كان أصل هذا المشروع الذي بين أيدينا فكرةً من قِبل رئيس مجلس إدارة المبرة د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي تتضمن توسيع نطاق الأبحاث المتعلقة بالآل والأصحاب لتضمّ مجالات جديدة ورحابًا أوسع ولا تقتصر على الموضوعات الدينية المألوفة، ثم أوعز بهذه الفكرة وبعض عناصرها إلى مركز البحوث والدراسات بالمبرة؛ فقام المركز مشكورًا مأجورًا بوضع خطة طموحة تتضمن العديد من الموضوعات الهادفة، العلمية والعملية؛ التي نستهدف أن نستضيء فيها بتراث الآل والأصحاب، ونكشف عن ملامح تطبيقهم الوحي على جميع الأصعدة والأنحاء، بشكل يتجلّى فيه الجانب الإبداعي من تخصص المبرة في خدمة تراث الآل والأصحاب، و«التخصص يقود إلى الإبداع» بحمد الله وتوفيقه، بحيث نقدم للمكتبة العلمية والدعوية تجميعًا غير مسبوق لبعض الجوانب الدقيقة في تراث الآل والأصحاب؛ ومِن ثَمَّ نسَّق المركز مع مجموعة من الباحثين ليقدموا جهودهم في تحويل تلك الأفكار والموضوعات إلى أبحاث علمية وفق منهجية مركز البحوث والدراسات المنضبطة، القائمة على التحقيق العلمي، والاستدلال الصحيح، والاسترشاد بكتب أهل العلم السابقين والمعاصرين، واستمر جهد المركز في متابعة الأبحاث ومراجعتها وتعديل ما يحتاج منها إلى تعديل، عبر خلية عمل تفرغت للمشروع تحت إشراف رئيس مركز البحوث والدراسات الشيخ محمد سالم الخضر مباشرة، فالشكر موصول لجميع الباحثين الكرام في المركز.

ثم تضافرت جهود أقسام المبرة الأخرى كقسم الإعلام في إتمام العمل بتنسيق الكتب وإخراجها حتى تمويلها لطباعتها؛ فكانت هذه السلسلة من الموضوعات، التي تندرج في سلسلة (تراث الآل والأصحاب)؛ ثمرةً لهذا التعاون المبارك.

وقد أرفقنا في ذيل هذا الكتاب قائمةً بعناوين هذه المجموعة المتكاملة من الموضوعات الدقيقة والمهمة في تراث الآل والأصحاب.

ولأنه لم يشكر اللهَ مَن لمْ يشكر الناس، فإننا نود التوجه بالشكر والتقدير للإخوة الأعزاء في **جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية** على تبنيهم طباعة هذا الكتاب، وتكفلهم بتكلفته المالية، فهذا ليس بأول مساعيهم الطيبة لنشر الدعوة الإسلامية الوسطية، والشيء من معدِنه لا يستغرب، وهذا مثالٌ حَسَنٌ على تعاون الجمعيات والمبرات الأهلية في مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية.

نرجو من الله ﷻ أن يوفقنا في مسعانا، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجمع لنا الأجرين: أجر الاجتهاد وأجر الصواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مبرة الآل والأصحاب



الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أحمده سبحانه، وأثني عليه الخير كله، لا نحصي ثناء عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وأصحابه الغر المحجلين، صلاة وسلامًا تملآن ما بين السماء والأرض نورًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله ﷻ لم يخلق الإنسان عبثًا؛ تعالى سبحانه عن ذلك علوًا كبيرا، وإنما خلقه لغاية عظيمة، قد أخبرنا بها جلّ شأنه حين قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي غاية ما أعظمها وأشرفها على الإطلاق، ومن أجل عظم هذه الغاية وشرفها، ولإعانة الإنسان على أدائها على أحسن وجه سخر الله تعالى له ما سخر من خلقه العظيم في السموات والأراضين، وآتاه من نعمه ما لا يحصى؛ فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال أيضا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى سخر للإنسان من المخلوقات العظيمة ما يعينه على القيام بالغاية التي خلق من أجلها، وأن يكرس جهده ويعقد عزمه على الوفاء بها، ويصرف فيها من عمره ما يتناسب مع قدرها؛ فهي غاية حري بها أن ينفق فيها جميع عمره.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية العظمى على الطريقة المثلى، وإقامة الحجة على الخلق، وبيان المثال الذي يحتذى به، أنزل الله تعالى الكتب، وأرسل الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين، يعلمونهم كيف يعبدون ربهم، وما هو السبيل الذي يسلكونه إليه، والوسيلة التي يتقربون بها إليه سبحانه، فقال تعالى في ذلك: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

هذا، وقد وهب الله تعالى للإنسان مقدارًا من الزمان ـ وهو عمره ووقته الذي يمضيه في هذه الحياة ـ ليمَكِّنه من أداء تلك المهمة المنوطة

به، على الوجه الذي عُلِّم، من خلال رسل الله له، والوحي الذي نزل عليهم بما يريده الله منهم، فوهبه سبحانه ذلك القدر من الزمان ابتلاء واختبار له؛ فيتبين أيهم أحسن عملا، كما أوضح سبحانه ذلك في كتابه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فيتحقق بذلك إعمار الأرض، وطمأنينة النفس، فيحصِّل الإنسان من النجاح الدنيوي والأخروي ـ إن شاء الله تعالى ـ بقدر ما بذل، بكيفية إمضائه ذلك العمر.

وكان في هذا القدر من الزمان الممنوح للإنسان ما يكفي ليكون محلا للفلاح في هذا الاختبار، فإن الله تعالى قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، فتبين أن القدر الممنوح من العمر لكل مكلف كان فيه الكفاية لتحصيل ما هو منوط به من العمل الكافي لفلاحه.

وقد اتفقت دعوة الرسل جميعا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على عبادة الله تعالى وحده، واجتناب عبادة غيره سبحانه، وعلى الأمر بطاعة الله تعالى فيما أمر والانتهاء عما نهى، وأن ذلك كله هو الهداية الحقة، ومخالفته هو الضلال المبين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]؛ فمن أحسن فيما كُلف به جُزي بالحسنى كما أخبرنا ربنا ﷻ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالاستغلال الأمثل لذلك القدر الممنوح من الزمان، وإنفاقه بالطريقة

المثلى في العمل النافع في الدين والدنيا، فيُحصل الإنسان أفضل الجزاء في الدارين، فكل إنسان يحقق كمًّا من الإنجازات بقدر ما أحسن استغلال ما وُهب له من العمر وسائر النعم.

وكل عمل يعمله الإنسان يستغرق قدرا من الزمن، وهذه القدر الذي ينفقه في ذلك العمل ـ خيرا كان أو شرا ـ هو الوقت، ومجموع هذه الأوقات يشكل عمر الإنسان، فكلما أحسن في إنفاق وقته كلما أحسن في استغلال عمره، وكلما ازدادت إنجازاته، وعظمت، وارتفعت درجته في الدارين، وذلك كله راجع لحسن تنظيم وقته وتوزيعه على جميع شؤنه، أو قل: حسن إدارته لوقته.

وحسن إدارة الإنسان لوقته لا يأتي من فراغ، إنما يكون بحسن التخطيط والتنظيم، وحسن الاستغلال، مع وضوح الأهداف والغايات، وبذل الجد والاجتهاد في السير على هذه الطريق إلى بلوغها، فعليه أن يحسن في ذلك كله ويبذل قدر ما يستطيع، ويسلك كل السبل المتاحة للوصول إلى أقصى إفادة ممكنة من هذه الحياة.

ولما كان الإنسان ـ بحسب طبيعته وما جبل عليه ـ ليس كاملا، وإنما يسعى ـ من رُزق الهداية والحكمة ـ إلى الكمال، فهو بحاجة إلى أسوة يتأسى بها، وأمثلة يَحْتذي بها، فيكون سابقوه في سلوك الدرب ـ غالبا ـ قد بلغوا الغاية المنشودة، وسلكوا السبيل الأقوم، فيكونون له نبراسا ودليلا يهتدي به، فيسير بسيرتهم، ويمشي على خطاهم، فيلحق

بركبهم، ويصل إلى ما وصلوا إليه.

وإذا كنا بصدد البحث عن القدوة والأسوة فلا نجد أفضل ممن زكاهم الله ﷻ، ورسوله ـ ﷺ ـ من الصحابة الكرام، فهم خير الناس علما وعملا، وخير الناس قولا وفعلا، وهم أيضا خير الناس قرنا[1]، وآل البيت الأطهار الأبرار، الذين ذكر الله تعالى طهارتهم في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فمن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث: إِدَارَةُ الْوَقْتِ فِي تُرَاثِ الْآلِ وَالْأَصْحَاب؛ فالوقت أثمن ما يملكه الإنسان؛ إذ هو عمره، وحري أن يعطى القدر الأكبر والنصيب الأوفر من الاهتمام بالبحث والتحقيق، أما الآل والأصحاب فإنهم خيرة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، الذين أقاموا الدين وبلّغوه، وأفضل من عمل به بعد النبي ـ ﷺ ـ، وفهمهم له خير فهم، وتطبيقهم له أحسن تطبيق، شهد الله لهم بالرضا على ما قاموا به، وأعلمنا سبحانه نيلهم الجزاء الحسن على ذلك، كما أثبتت السنون حسن صنيعهم، وغزارة إنتاجهم، فاستحقوا أن يكونوا نبراسا وقدوة لمن جاء بعدهم، فكانت خيرية البحث في طرفيه.

هذا، وقد أوصت مبرة الآل والأصحاب ـ بارك الله في سعيها ـ

(١) فقد جاء فيما رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..» الحديث.

بهذا العمل، ليكون نافذة يرى منها طالب الحق صنيعهم وآثارهم في هذا الباب، فيهتدي بهديهم من أراد السير بمسيرتهم، ورام القدوة الحسنة، والمثال الذي أثبتت الأيام فوز صاحبه.

وقد قمت بالنظر في تراث الآل والأصحاب، لاستخراج هذا البحث، فأخذت من سيرهم وتراجمهم، وما أثر عنهم من أقوالهم وأفعالهم؛ مما سطره أهل الأثر والمؤرخون عنهم، وكان من الصعوبة التي واجهتني في البحث أن الموضوع يشمل كل مناحي حياتهم؛ إذ الوقت هو العمر كله، وينفق كذلك في جميع جوانب الحياة؛ إذ هو وعاء لكل ما يقوم به المرء من أعمال؛ دينية ودنيوية، أو روحية ومادية، فلا يقتصر الأمر هنا على تناول جانب علم أو جهاد أو عبادة من العبادات أو عمل من أعمال الدنيا كالتجارة أو الصناعة والحرفة، بل جميع اليوم وما فيه من أعمال، والعمر كله وما يشمله من أحداث داخل في إطار البحث من هذا المنطلق؛ إذ يشمل تخطيط الوقت القدر الذي أخذ منه للعمل والجد كما يشمل ما أخذ منه للراحة والترويح ـ كما سيتبين إن شاء الله ـ، فكان لزاما أن يشمل البحث جل نواحي حياتهم، وجميع أعمالهم في يومهم وليلتهم، مما يجعل رقعة البحث واسعة لتشمل ذلك كله، ولنرى كيف أداروا أوقاتهم؛ فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من الفوز العظيم بالجزاء والعطاء الوفير، والثناء الجميل، والذكر الحسن، وبلوغ الغاية في الدارين، رضي الله عنهم أجمعين.

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة، وتفصيل

ذلك على الوجه التالي:

المقدمة: أستهل بها البحث، وأمهد لموضوعه، تناولت فيها بعض المسائل المتعلقة بالبحث منها: الكلام إجمالا عن والوقت وقيمته، وأهمية موضوع البحث، وكون التصنيف في هذا الباب ليس وليد هذا العصر، ثم تحديد المفاهيم، وتعيين مناط البحث.

الفصل الأول: الوقت في الإسلام.

ويتضمن الكلام على الوقت، وقيمته في الإسلام، وبيان ذلك من الكتاب والسنة، وفي التراث الإسلامي، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الوقت في القرآن.

المبحث الثاني: الوقت في السنة.

المبحث الثالث: الوقت في التراث الإسلامي، ونظرة السلف له.

المبحث الرابع: سمات النظرة الإسلامية للوقت.

الفصل الثاني ـ وهو مع الفصول التي تليه لب البحث ومداره ـ: **إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب.**

ويتضمن التطبيق العملي، وتنزيل الوارد عن الآل والأصحاب من الآثار على مباحث إدارة الوقت التي ذكرها المعاصرون في تصانيفهم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: أهمية الوقت عند الآل والأصحاب، ونظرتهم إليه.

المبحث الثاني: استثمار الوقت، وعدم إضاعته.

المبحث الثالث: تخطيط الوقت وتنظيمه.

المبحث الرابع: لكل وقت عمله المخصص له.

المبحث الخامس: مراعاة كافة الحقوق والواجبات في تعاملهم مع الوقت.

المبحث السادس: الاجتهاد عموما وبذل المزيد منه في أوقات مخصوصة طلبا لمزيد من الأجر والمثوبة.

المبحث السابع: المسارعة في الخيرات، وهي من مميزات النظرة الإسلامية للوقت.

المبحث الثامن: اغتنام أوقات الفراغ والصحة والشباب.

المبحث التاسع: تحري الأوقات الفاضلة والمخصوصة.

المبحث العاشر: إعطاء النفس حظها من المرح واللهو المباح لتجديد النشاط.

المبحث الحادي عشر: آخر العمر محل الاجتهاد ومضاعفة الأعمال وليس وقت الراحة.

الفصل الثالث: فقه الآل والأصحاب في إدارة الوقت.

نتناول فيه طريقتهم في إدارة الوقت، والأسس التي ساروا عليها في التعامل مع الوقت، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تكليف النفس بما تطيق.

المبحث الثاني: مراعاة كافة جوانب الحياة.

المبحث الثالث: المسابقة والمنافسة في اغتنام الأوقات.

المبحث الرابع: تحري الأوقات المخصوصة.

المبحث الخامس: المحاسبة والمراجعة للنفس.

المبحث السادس: إعطاء النفس حظها من الراحة والترويح لاستعادة النشاط.

المبحث السابع: المداومة وعدم الانقطاع.

الفصل الرابع: فقه الآل والأصحاب في التعامل مع مضيعات الوقت، ومعوقات إدارته.

نتناول الكلام على مضيعات الوقت التي تعوق إدارة الوقت، وفقه الآل والأصحاب في التعامل معها، وتحذيرهم منها، يتركز الكلام فيه على ثلاث معوقات رئيسية، تعد هي لب معوقات إدارة الوقت، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الكسل.

المبحث الثاني: التسويف.

المبحث الثالث: بذل الوقت فيما لا نفع فيه، أو فيما غيره خير منه.

ثم **خاتمة البحث**.

ثم قائمة المصادر والراجع.

ثم فهرس الموضوعات.

هذا وكان من طريقتي في العمل جمع الآثار الواردة عن الآل والأصحاب الكرام - رضي الله عنهم - مما يحمل المعاني المشتملة على موضوع البحث، ويبرز جوانب إدارة الوقت فيها، جمعا يتناسب مع حجم البحث والمراد منه، ولم أتوسع في الكلام على الآثار الواردة؛ إلا ما كان منها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو بعض الآثار اليسيرة التي اشتملت على حدث تاريخي، أو واقعة بعينها، وما دون ذلك فجاء الكلام عليه باختصار، وربما كان في الأثر بعض الضعف في سنده، إلا أننا نذكره من باب الإشارة للمعنى الذي تضمنه؛ مما هو مرتبط بموضوع البحث، وأن تلك المعاني ـ على أقل تقدير ـ كانت متداولة في تلك الحقبة من الزمان.

كما أن المباحث التي تضمنها البحث راعيت فيها أن تكون على نفس المنوال المتداول في الأبحاث المعاصرة ـ وهي كثيرة ـ في باب إدارة الوقت، وقد استفدت من بعضها، وذكرت ذلك في موطنه.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجازي القائمين على مبرة

الآل والأصحاب الأجر العظيم؛ على جهدهم في نشر الخير، والحث عليه، وإظهار نماذجه المشرقة في أبواب شتى، كما أرجوه سبحانه أن يرزقني الإخلاص والتوفيق والسداد، وأن يتجاوز عن الخطأ والتقصير؛ إذ هو دأب كل عمل بشري، خاصة في مثل هذه الأعمال التي تتسع رقعة البحث فيها؛ فإن البحث في سير هؤلاء العظام واستخراج الدرر منها بحر لا ساحل له، ولا يحيط به إلا الله تعالى، فربما كان في سيرة الواحد منه ما يستحق المؤلفات العظام في عدد من فروع المعرفة، ثم لا يوفّى بعد ذلك حقه، والله الموفق والمستعان.

وكتب الفقير إلى عفو ربه سبحانه

طارق بن محمد بن إبراهيم الطيار



والوقت بالنسبة للإنسان هو ذلك القدر من الزمان الذي يمضيه في عمل ما، وهو أيضا الأيام والسنون التي يمضيها في حياته الدنيا، فهذا الزمان في مجموعه هو عمر الإنسان، قال ابن القيم: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة)[1]، فالوقت هو العمر، وهو الحياة.

والوقت ـ الذي هو عمر الإنسان ـ إن ضربنا له مثلا، فهو أشبه بموسم الزرع، خاصة في مقتبل العمر، ووقت الشباب، فلا يزال يحسن فيه حتى تأتي بدايات موسم الحصاد في حياته الدنيا، إلى بلوغ ذروته في الآخرة، فالعاقل من أحسن الزرع لتحسن الثمار؛ إذ لا حصاد بلا زرع، ولا ثمرة بلا جهد، فالوقت هو المحور الرئيس في حياة الإنسان، فكل شيء تعلق بالإنسان تعلق تبعا بقدر من وقته وعمره.

والوقت أثمن من المال بالنسبة للإنسان، فالمال الذي يجمعه الإنسان بكده يمكن تعويضه إن فاته منه شيء، وربما حصل عليه بلا أدنى جهد منه ـ كما في حالة الميراث والهبة مثلا ـ، بخلاف الحال مع

(١) الجواب الكافي (صـ١٥٦).

الوقت ؛ فهو غير متجدد ، وما مضى منه لا يرجع ، وما يفنى منه لا يُعوَّض بشيء، ولا يُوهب منه شيء، ولو كان يسيرًا، ولا يُورَّث. وهو أيضا سريع الانقضاء، ولا يمكن التغير أو التعديل فيه بحال، فكل مقدار منه يمر فهو يأخذ من عمر الإنسان بمقدار ما مر، لذا فالوقت من أهم الموارد وأنفسها بالنسبة للإنسان، بل هو المورد الأهم على الإطلاق، لذا كان أثمن ما يملكه الإنسان. وعليه فإنه ليس حكيما ـ على الإطلاق ـ من أضاع وقته، ولم يشغله بما ينفعه، وقد قال ابن وهب ـ ﵀ ـ: لا يكون البطّال[١] من الحكماء[٢].

وهذه المعاني ليست على مستوى الأفراد فحسب، بل على مستوى الأمم كذلك، فالوقت في الأهمية للأمم كما هو للفرد، وفي هذا المعنى يقول د. عبد الكريم بكار: (حجم استغلال الوقت، والاستفادة منه من أهم العلامات الفارقة بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة، وبين الأشخاص الناجحين والأشخاص العاديين، ويمكن للمرء أن يقول ـ وهو مطمئن ـ: إنه ليس هناك ناجحون في الحياة على نحو ظاهر لا يهتمون بأوقاتهم)[٣].

لذا كان من أضاع وقته بلا فائدة محل ذم شديد وانتقاص ووعيد،

(١) قال ابن هشام اللخمي: «البَطَّال: الفارغ الذي لا شغل له، ولا عمل يعمله». اهـ شرح الفصيح (صـ١٠٧).

(٢) العلم لزهير بن حرب (١٢٧)، حلية الأولياء (٤/٣٠).

(٣) عصرنا والعيش في زمانه الصعب (صـ١٠٢).

فقد روي أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان يكرر موعظة كل خميس، وكان مما فيها: وإن من شرار الناس بطال النهار جيفة الليل[١].

وترجع نفاسة الوقت وأهميته إلى أنه الإطار الحتمي الذي يدور في فلكه كل عمل يقوم به الإنسان، إذ لا يتصور وقع أي عمل من الأعمال خارج إطار الزمن، فلابد لأي فعل أن يستهلك قدرا من الزمان؛ لهذا كان الوقت أهم وأنفس ما وهبه الله تعالى للإنسان، وكل شيء وُهب للإنسان فأحسن استخدامه جنى أطيب ثماره، وإن كان على خلاف ذلك فأقله ضياع ما وهبه الله تعالى من النعم هباء، وربما تسبب له فيما هو أشد من ذلك.

وتبرز قيمة الوقت والاستخدامِ الأمثل له من تفاوت ما يحصِّله الناس بمرور الوقت عليهم؛ إذ جميعهم يملكون في يومهم أربعا وعشرين ساعة، لكن النتائج المترتبة على ذلك تتفاوت تفاوتا عظيما بقدر تفاوت أقدار الناس أنفسهم، لذا كان لزاما عليهم حسن استغلال أوقاتهم، أو قل حسن إدارة أوقاتهم، فحسن الإدارة هو حسن التخطيط والتنظيم، والاستغلال الأمثل للموارد والطاقات، مع اعتبار الغايات القريبة والبعيدة، بالصورة

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٨٧١)، عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يجيء كل خميس فيقوم ـ قائما لا يجلس ـ، فيقول: «لا تفتنوا الناس، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة، فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يلهينكم الأمل، فإنّ كل ما هو آت قريب، ألا إن البعيد ما ليس آتيا، وإن من شرار الناس بطال النهار جيفة الليل». ذكره الهيثمي في المجمع، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه». مجمع الزوائد (٣١٥٣).

التي تضمن أفضل النتائج المترتبة على ذلك.

فلُبّ الأمر حقيقة ليس في مقدار الوقت المتوفر، ولكن في كيفية إدارة هذا الوقت، وحسن توزيع القدر المتاح منه على المهام المنوطة بالإنسان، والغايات التي يسعى إليها، والحاجات والمسؤوليات المتعلقة به، نعم توفر الوقت مهم، لكن ما يفوقه أهمية هو كيفية إدارة هذا الوقت، وحسن توزيعه.



قيمة الوقت



إن العمر ـ ذاك المورد غير المتجدد ـ وعاء لجميع الممارسات التي يقوم بها الإنسان طوال حياته، وهو رأس المال الحقيقي له، فوجب الحفاظ عليه بقدر الحفاظ على الحياة نفسها، لأنه هو الحياة حقيقة، وتبرز قيمة الوقت حين تراه أول ما يندم عليه الإنسان حين يرى أن حياته أوشكت على النفاد، فيتحسر على فواته في مضرة أو في غير منفعة، فبين قائل: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، وآخر يقول: ﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١]، فهي أمنية محال تحقيقها(١)، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يرجع الزمان بأحد، وقد

(١) قال ابن رجب الحنبلي: «قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق، فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير. ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه، ويتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن فيها من العمل، فلا تنفعه الأمنية. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٤ ـ ٥٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ=

منح منه القدر الكافي لإنجاز ما كان مطلوبا منه إنجازه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر ٣٧]، فليته أحسن فيه قبل هذا التحسر والندم.

فالوقت هو العمر، ومكانته تضاهي مكانة الحياة نفسها؛ فهو منحة ربانية للإنسان، وهبها له ليُحسن استغلالها، فإن أحسن جُزي بالإحسان إحسانا، وإلا فلا يلومنّ إلا نفسه.

ويجب على الإنسان أن يتعامل مع الوقت بحذر شديد؛ إذ هو يمر بلا توقف، لا في حال حركة الإنسان ولا سكونه، فالوقت نفسه في حال حركة لا تنقطع، وسير في اتجاه لا يرجع منه، وليس للإنسان مقدرة لأن يُحدث فيه تعديلا، لا بزيادة ولا نقصان، ولا أن يقلل من سرعة مروره، أو أن يعَجِّل فيها، وكذلك الأمم مهما كانت قوتها وقدرتها لا تستطيع أن توقف مرور الزمان، قال الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، وقال أيضا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً

= صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١]. وفي الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا: «ما من ميت يموت إلا ندم قالوا: وما ندامته؟ قال: إن كان محسنا، ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئا، ندم أن لا يكون استعتب». فإذا كان الأمر على هذا فيتعين على المؤمن اغتنام ما بقي من عمره، ولهذا قيل: إن بقية عمر المؤمن لا قيمة له. وقال سعيد بن جبير: كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة». اهـ جامع العلوم والحكم (٢/٣٩٠ ـ ٣٩١).

﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، غير أن الله تعالى امتن على الإنسان بأن وهبه القدرة على الاستخدام الأمثل للوقت، والمقدرة على إدارته وحسن التخطيط له، ومن هنا فإن الإجراءات المتبعة لتحقيق ذلك ليست من باب التغير في طبيعة الوقت، إنما تكون فقط من جهة حسن التعامل معه، فإدارة الوقت الناجحة تساوي حياة ناجحة، ونتائج أعظم قدرا وأجل أثرا ونفعا، كما أنها تمنح مساحة عريضة لكثير من الممارسات والأعمال التي لا يكاد يحصِّل مثلها من انعدمت ـ أو ساءت ـ إدارته لوقته، وفي المقابل يعد عدم التخطيط والتنظيم من أهم أسباب إهدار الوقت وضياع العمر.

فعلى الإنسان أن يعطي للوقت القدر الذي يستحق من الاهتمام، وأن يعمل على استغلاله على الوجه الأكمل، وأن يشغل جميع أوقات فراغه بالنافع، ويغتنم الأوقات الأكثر نشاطا، فقد روي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفترة وإدباراً، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها)[1]، ولا يهملنّ في أمر وقته فيهدره، ويضيع العمر، وتهذب الحياة بلا نفع، فإنه إما منشغل بالنافع، أو فارغ بلا هدف، لا ينفع نفسه ولا غيره، فمثله عالة على غيره، حري به أن يكون بغيضا، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٣٤/١) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بسند منقطع، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف عن علي ـ رضي الله عنه ـ (١١٥/٢)، وإسناده منقطع أيضا.
والمراد أن يستغل الإنسان الأوقات التي يشعر فيها بالنشاط، ويقبل فيها بكل قوة على إتمام أعماله، وأما الأوقات التي يشعر فيها بالفتور والخمول فيستغلها في راحة البدن، أو الترويح عن النفس؛ لطرد الملل واستعادة النشاط مرة أخرى.

(إني لأمقت الرجل لا أراه في شيء من الدنيا أو الآخرة)[١].

وليس معنى ذلك أنه لا حظ للنفس، أو أنه ليس على إنسان أن يعطيها قدرا من الراحة والترويح، بل إن إعطاءها حظها من الترويح، وإعطاء البدن حقه من الراحة لهو من جملة التخطيط والتنظيم الجيد للوقت والحياة؛ فتواصل النفس نشاطها بلا ملل ولا ضجر، قادرة على التحمل، مواصلة مسيرة البذل بجد واجتهاد، فكان أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يقول: إنّي أستجمّ ببعض الباطل[٢] ليكون أنشط لي في الحق[٣].



(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٥٦٢)، ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٠)، وأبو داود في الزهد (١٧٤)، وإسناده منقطع.

(٢) المقصود هنا ما كان مباحا مما فيه ترويح للنفس، وسيأتي هذا المعنى من كلام ابن قتيبة في تعليقه على هذا الأثر في موطنه إن شاء الله.

(٣) رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/١٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/٥٠١)، بإسناد منقطع.

أهمية الموضوع



فإذا كان للوقت هذا القدر من الأهمية وجب إعطاؤه مقدرا مماثلا من الاهتمام، فإدارة الوقت الهدف منها أن يُعطى كل من الواجبات، والغايات، والاحتياجات ذلك القدر من الوقت والجهد الذي يستحقه، من غير أن يطغى على غيره، أو يؤثر فيه سلبا، ما لم تدعو ضرورة لخلاف ذلك، وهذه العملية من الأهمية بمكان؛ فإن مسار الحياة مترتب عليها.

إن مسألة إدارة الوقت من المسائل التي شغلت العالَم المعاصر بقدر كبير، حيث تأكد لصنوف المنشغلين بألوان الحياة قيمة الوقت، وأهمية إدارته، فالعالِم والتاجر والصانع والسياسي والمفكر والطالب وغيرهم قد أصبح ذلك جليا لهم، حتى أنه يمكننا القول بأن مسألة إدارة الوقت صارت صيحة العصر، وسمة لهذه الحقبة، وكما قال مطرف بن عبد الله العامري: (عقول الناس على قدر زمانهم)[1].

ومع تسابق الأمم والبلدان إلى مكان الصدارة، والنهوض بالمجتمعات كان لزاما عليهم أن يولوا مسألة إدارة الوقت قدرها المناسب، وكان أيضا

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥١٢٦).

لزاما على كل أمة أن تبحث عن مصادر ومناهج وأفكار تخرج منها بالنموذج الأمثل لإدارة الوقت.

هذا، وتختلف نظرة الناس تجاه الوقت باختلاف رؤيتهم له، فنظرة التاجر بخلاف نظرة العابد، وكلاهما على خلاف نظرة الفارغ، وكذلك تختلف مناهجهم في التعامل معه باختلاف الأفكار والفلسفات والمعتقدات التي تشكل ـ على وجه الحقيقة ـ البناء النفسي والعلمي والعقدي للإنسان، والذي ينبني عليه الجانب النظري والعملي في تعامل الإنسان مع الأشياء، وعموم نظرته للحياة، والمناهج المتبعة فيها، فالنظرة الغربية للوقت على خلاف نظرة الإسلام، والنظرة الاقتصادية البحتة على خلاف النظرة الإنسانية، فكل يراعي القضايا التي تشغله ويهتم بها، وذلك لاختلاف الأفكار والفلسفات التي بنيت عليها.

ومع الاختلاف في أنظار الناس للوقت، ووجهاتهم في تعاملهم معه وجب على العاقل أن يأخذ بأحسنها وأنسبها له، وأكثرها مراعاة للجوانب المختلفة للإنسان في حياته، وإن الله تعالى كفل لنا هذا الجانب، أعني جانب المعتقدات والأفكار وبناء النظرة العامة التي يُصاغ منها نظرة الإنسان لوقته ـ الذي هو عمره على الحقيقة ـ وللحياة عموما، والتي من خلالها يبني المسلم منهجه وطريقته في التعامل الأشياء، فإننا نجد أن نظرة الإسلام للوقت فيها تعظيم كبير لقيمته، من جهة أنه الفرصة المتاحة له للسعي لربح عظيم في الدارين، فلا هو ذو نظرة دنيوية بحتة، ولا رهبانية منقطعة عن الدنيا، فإن الوقت قد أعطي قدرا كبيرا من الأهمية في

الإسلام؛ فكم من الآيات الدالة على ذلك، والصور المختلفة لهذا التعظيم لشأنه ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله ـ.

وإن أُمتنا تفضّل الله تعالى عليها أن جعل لها المنهج القويم، والمصدر الذي لا ريب في صوابه؛ إذ ما ترك خيرا إلا ودلنا عليه، ولا شرًا إلا وحذرنا منه، إما بطريق مباشر، أو هديا نهتدي به، وأصلا نرجع إليه، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]، فنستطيع أن نصل من خلاله في كل باب لما لا يصل إليه غيرنا بحال.

فإن الانشغال بالوقت، وعظيم قدره، وحسن إدارته، والحكمة في توزيعه على كافة المحاور المتعلقة بالإنسان تراه جليا في ديننا الحنيف، فإنك ترى ذلك جليا في ارتباط أركان هذا الدين بعامل الوقت ارتباطا وثيقا، فالصلاة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، قال الله تعالى في شأنها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»(١).

وهكذا تجد عامل الوقت هاما ومؤثرا ومحورا رئيسا في جملة من العبادات؛ فالزكاة مرتبطة بعامل الوقت، ولها وقت محدد، والصوم شهر

(١) متفق عليه، وسيأتي.

معروف، يصوم فيه المسلم وقتا بعينه، ويفطر بانتهائه، والحج أشهر معلومات وأيام معدودات، يؤدي فيها أعمالا مخصوصة، وفيه يوم هو خير يوم طلعت فيه الشمس، وإن شئت أن ترى أثر الوقت في غير ذلك من العبادات أيضا فإنك تراه، فعلى سبيل المثال: تجد حثًّا على طلب الرزق في أوقات النهار والبكورة منه، وأمرًا بالانتشار في الأرض بعد انقضاء الصلاة، وترغيبًا في صلاة ليل، والاستغفار بالأسحار، كما ترى عموم الأمر باغتنام العمر، وعدم إضاعته في قول النبي ـ ﷺ ـ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[1].

بل إنك تجد فيه تقسيما للأوقات، وتوزيعا لها على الحقوق المنوطة بالعبد، بما في ذلك إعطاء مساحة للنفس من الترويح، وراحة البدن، ومجالسة المتحابين المتزاورين في الله تعالى، فهذه الأمور لم تكن محل إهمال في ديننا، وقد أقر النبي ـ ﷺ ـ سلمان حين قال: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «صدق سلمان»[2]، حتى السمر النافع والحوار المثمر له وقته أيضا[3].

كل ذلك وغيره ـ مما ستأتي الإشارة إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ تجده

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٢) رواه البخاري، ولفظه أطول من هذا، وسيأتي بطوله.

(٣) عن عمر قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يَسْمُرُ مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما. رواه ابن أبي شيبة (٦٦٨٩)، عن علقمة.

منصوصا عليه في الكتاب والسنة، وفي التطبيق العملي لهما من عمل الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ومع حاجة الإنسان للقدوة والمثال الذي يحتذى به، كان لزاما عليه أن ينتقي القدوة الحسنة، وليس أحد أحق أن يقتدى به في ذلك من النبي ـ ﷺ ـ الذي كان مؤيدا بالوحي من رب العالمين، ثم صحابته الكرام، وآل بيته المطهرين ـ عليهم السلام ـ، الذين طبقوا ما فهموه وما تعلموه وآمنوا به، حتى صاروا النبراس والقدوة، ومصابيح الدجى، وهداة على طريق الحق، فصاروا أصلا يرجع إليه عند اختلاف المناهج والسبل.

وقَلَّ أن تجد خيرا في من لا أصل له يرجع إليه، وكما قال ابن الجوزي: (ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول في من يخالطه..؛ أما الأصول: فإن الشيء يرجع إلى أصله، وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن)[1]، ولاشك أنّ الأمم التي تسعى للرقي بحاضرها نحو مستقبل أفضل = بحاجة ماسةٍ إلى النظر في تراثها، فتكتسب من نقاط قوته، وتعتبر مما يخالف ذلك.

وتتفاوت الاستفادة من تراث كل أمة بقدر: أصالتها، وعراقة تاريخها، وبقدر صحة الخبر، وصحة النظر والاعتبار في هذا التاريخ، كما تعظم الفائدة أيضا كلما كان هذا التراث عميقا في أحداثه وآثاره، وليس أمة من الأمم تملك من هذا ما تملكه أمتنا، فإن تراثها: عظيم

---

(١) صيد الخاطر (صـ٢٩٦).

الأحداث، كثير الفوائد، جمّ المنافع، غزير المعاني والعبر، كما أن قدر الأخبار الصحيحة فيه لا تحظى بمثله أمة أخرى، ثم هو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالوحي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ﴾ [المائدة: ٣]؛ مما زاده شرفًا ورفعة، ونفعا في الدين والدنيا؛، وذلك خصيصة له؛ لا منافس له في ذلك.

فأمةٌ أنزل الله في شأنها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١١٠]، وكذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال في شأنها رسوله الكريم ـ ﷺ ـ: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ»[1]، وقال أيضا: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتُوا الكتاب من قبلنا»[2] = لهي أمة جديرة بأن تكون أهلا لمكان السبق، وقدوة لغيرها في كل باب، فضلا عن باب استثمار الأوقات والأعمار.

وإن أولى مراحل كل أمة بالدراسة والبحث والنظر لهي أكثر هذه المراحل أصالة، وأشدها أثرًا وتأثيرًا، وأعظمها نفعًا، وإنّ هذا لينطبق بالدرجة الأولى في تاريخنا على أكثر مراحل الأمة نورًا وعلمًا، وأشدها وضوحًا في المنهج، وأكثرها تمسكا به، وأحسنها تطبيقا له، ألا وهي الحقبة التي كان فيها الوحي ينزل من السماء من عند رب العالمين على نبيه الكريم ـ ﷺ ـ؛ فيتلقاه بالسمع والطاعة خيرة الخلق، المشهود لهم

(١) رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.
(٢) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

بالرضا، ثم يتبعوا ذلك التلقي التطبيقَ العملي لما تلقوه، إيمانا به، وتصديقا للوعد الذي جاء فيه، فكان خير تطبيق لما علموا، وخير تصديق لما آمنوا، وقد فطِن لهذا علماء المسلمين؛ فأكثروا من البحث والنظر في سير الأئمة والأعلام، واستخرجوا منها الدرر، فبلغ ذلك من الكثرة بمكان؛ قال الأديب الدكتور محمود الطناحي: (يوشك هذا العلم ـ يعني التاريخ ـ أن يكون نصف المكتبة العربية...؛ وتفسير هذا أن علم التاريخ عند المسلمين ليس هو فقط تلك الكتب الحولية؛ مثل تاريخ الطبري وابن الأثير...، وإنما يدخل فيه، بل يمثل الجانب الأكبر منه فن التراجم وهو بحر خضم)(١).

وبناء على ما سبق فإن من أنفع الأمور النظر في سير الآل والأصحاب وتراجمهم، والآثار المنقولة عنهم، واستخراج الدرر الكامنة منها في كل باب من أبواب الخير، لاسيما في باب الوقت، وكيفية إدارتهم له، وممارساتهم لذلك، لنسلك سبيلهم فنهتدي سواء السبيل؛ وسبيلهم أولى أن يتبع من غيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]، وإن من سبلهم الحفاظ على أوقاتهم، وحسن تنظيمها، فنحفظ بذلك لأمتنا ما لا حصر له من الساعات المهدرة يوميا، فترجع إلى موضعها اللائق بها، وتكون نورا ونبراسا لسائر الأمم من حولها.

❊ ❊ ❊

(١) مقدمة تحقيق أعمار الأعيان؛ للدكتور الطناحي (١/٨).

۞ التصنيف في الوقت وأهميته ليس وليد هذا العصر:

هذا، وليس الاهتمام بالوقت وإدارته وليد اليوم، وليس التصنيف فيه نشأ مع ميلاد المصطلح، بل نستطيع القول أن نشأته العلمية كانت مع ظهور الإسلام ونزول الوحي، وإلا فهو في الفطرة السليمة للإنسان، فقد جاءت الآيات الدالة على ذلك، والأحاديث الواردة في الباب مع ظهر الإسلام، ثم نقل التابعون ومن بعدهم من آثار الآل وأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ في الباب، وقد دُوِّن من ذلك قدرٌ كبيرٌ، ثم أفردت المصنفات للمسألة منذ نشأة التدوين والتأليف، فعلى سبيل المثال مما كتبه ابن أبي الدنيا: العمر والشيب، وقصر الأمل، وللبيهقي: فضائل الأوقات، وصنف ابن الجوزي: حفظ العمر، ومواسم العمر، وما ذكره من أبواب في تقسيم اليوم وتنظيمه في كتابه منهاج القاصدين، واختصر ما ذكره ابن الجوزي وزاد عليه ابن قدامة المقدسي، وكتب ابن رجب الحث على اغتنام الأوقات، وفي كتب التراجم تجد صور حيّة، وأمثلة يقتدى بها لما بوبه المصنفون في إدارة الوقت، والناظر في الكتب التي ترجمت لأعلام الأمة، وعلى رأسهم الآل والأصحاب يرى في تراجمهم التطبيق العملي لموضوع البحث، وفي المصنفات التي تتحدث عن طلب العلم وتحصيله، وكيف كان بذل الأولون الجهد فيه، وتكريس الأوقات، واستغلال مراحل العمر، وأوقات النشاط، وغير ذلك = ما تحار في استيعابه العقول، أما الحديث عنه في ثنايا عموم المصنفات في التراث الإسلامي فلا يعلم حصره إلا

الله تعالى؛ إذ ربما لا يخلو مصنف من الحديث عن هذه المسألة أو الإشارة إليها، حتى يمكن القول إنه يمكن اعتبار جُلّ هذه المصنفات جميعا ذات علاقة بوجه أو بآخر بفن إدارة الوقت.

وأما ما صنفه المعاصرون أيضا في الباب فحدّث ولا حرج، فهي من الكثرة بمكان، وكل يدلي فيها بدلوه، ويذكر فيها ما رآه من منطلق توجهه وفكره، وسنشير لبعضها في أثناء البحث إن شاء الله تعالى.

۞ تحديد المفاهيم:

من أهم عوامل نجاح الأبحاث وإيتائها ثمارها أن تكون المفاهيم التي يتناولها البحث واضحة محددة؛ فيتجلى المقصود منها، ويُحترز من اللبس فيها، والإيهام باحتمال ما لا يحتمل في البحث، وبذلك يتضح مناط البحث على وجه جلي، لذا أذكر في هذه الأسطر المفاهيم المتناولة في البحث بشيء من التوضيح، وأعقب بتعيين مناط البحث.

❊ أولا: الصحابي:

من هو الصحابي: قال السخاوي: الصّحابيّ لغة: يقع على من صحب أقلّ ما يطلق عليه اسم صحبة، فضلا عمّن طالت صحبته وكثرت مجالسته[١].

(١) فتح المغيث (٤/٧٨).

وقال ابن حجر: (الصحابي كذلك وهو: من لقي النبي ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح)(١)(٢).

وقال في الشرح: لا خفاء في رجحان رتبة من لازمه ـ ﷺ ـ وقاتل معه، أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه، أو لم يحضر معه مشهدا، أو على من كلمه يسيرا، أو ماشاه قليلا، أو رآه على بعد، أو في حال الطفولية وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع(٣).

وقد أثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار جميعًا أجمل الثناء، فقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩]، عليهم رضوان الله أجمعين، وذكر توبته

---

(١) نخبة الفكر (صـ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) وقع خلاف اصطلاحي في تعريف الصحابي، وما ذكره ابن حجر هو ما رجحه فريق كبير من المحدثين، واستقر عليه العمل عند كثير من المتأخرين، وقد ذكر ابن حجر في كتابه الإصابة نحو هذا التعريف الاصطلاحي للصحابي، وزاد في أوله: (وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي..) اهـ ثم ذكر التعريف المشار إليه، والخلافَ في ذلك. انظر: الإصابة (١/١٥٨).

(٣) نزهة النظر (صـ١٤٢).

عليهم ورضاه عَزَّوَجَلَّ عنهم، فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

فهم أرجح الناس عقلًا، وأكرم الناس ضيفًا، وأحسن الناس خُلُقًا؛ غُرٌّ مُحَجَّلُون من أثر الوضوء، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. حكموا الدنيا فملؤها نورًا وعلمًا ورحمة، واتسعت رقعت بلادهم؛ فعمّ الخير متى حلّوا، ألا يكونون بعد ذلك أحق الناس أن تحيى ذكراهم، وأن ينفض الغبار عن سيرهم، فتبرز وتنتشر معارفهم وأخلاقهم، والصور الحسان التي خلّفوها، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

كما أن ذكرهم، والتمثل بما كانوا عليه من أسباب الأمان للأمة، فقد أخبرنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن أصحابه ورضوان الله عليهم أَمَنَة للأمة حين شبههم بالنجوم في السماء، فإن هم ذهبوا أتى الأمة ما توعد، فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: صلينا المغرب مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم أو أصبتم» قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة

لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون[(١)]»[(٢)].

نقل الإجماع على تفضيل الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ على غيرهم:

وأمّا إجماع الأمة على ذلك فقد نقله غير واحد، منهم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، قال: (وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم؛ على ما قال: «خيركم قرني»، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم. وقال: وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة في أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صحب النبي ولو ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من

(١) قال النووي: (ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وَهَنَتْ السماءُ فانفطرت، وانشقت، وذهبت.
وقوله ـ ﷺ ـ: «وأنا أَمَنَة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون».
أي من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك.
قوله ﷺ: (وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه: من ظهور البدع، والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم، وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ). اهـ شرح مسلم (١٦/٨٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٣١).

التابعين بذلك)[١].

ونقل ابن حجر في مقدمة الإصابة عن الخطيب البغدادي قوله ـ: (وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها؛ من: الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء، والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين = القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله)[٢] اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، كما وصفهم الله به في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة النبي في قوله: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»)[٣].

اهـ

(١) رسالة إلى أهل الثغر (صـ٢٩٩ ـ ٣٠٢).

(٢) الإصابة (١/١٣١ ـ ١٣٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥٢).

❋ ثانيا: آل البيت:

ذُكر في تعين المراد بالآل أقوال عدة، وجعلهم البعض أقساما، حتى ذهب البعض إلى أنهم خمسا وعشرين قسما، فقد قال ابن خلكان في ترجمة ابن خالويه: (وله كتاب لطيف، سماه: الآل، وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً..)[1]، وقد استفاض غير واحد من أهل العلم في ذكر المراد بآل النبي - ﷺ -، وذكر الخلاف الحاصل في المسألة، والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم أنهم من حرمت عليهم الصدقة ـ وهو قول زيد بن أرقم[2] - رضي الله عنه -، ومنصوص الشافعي وأحمد والأكثرين[3]؛ وهم بنو هاشم، وأن أزواجه وذريته أحق من دخل في آله - ﷺ - أيضا[4]، وهذا الذي سنسير عليه في البحث إن شاء الله تعالى.

(١) وفيات الأعيان (٢/١٧٩)، وذكر ذلك أيضا ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٣/١٠٣٦).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد - رضي الله عنه -: (قال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم). وسيأتي بطوله قريبا إن شاء الله.

(٣) نقل ذلك ابن القيم - رحمه الله - وسيأتي كلامه.

(٤) ذكر ابن القيم - رحمه الله -، وأفرد لذلك فصلا طويلا ذكر فيه أدلة كل قول، وذكر وجه الدلالة منها، ورجح منها قولا عزاه لفريق كبير من أهل العلم، ونذكر من كلامه ما ملخصه: (واختلف في آل النبي - ﷺ - على أربعة أقوال:
فقيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:
أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد في رواية عنه.=

....

= والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية الثانية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.
والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب.
وهذا القول في الآل ـ أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ـ هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.
الثاني: أن آل النبي ـ ﷺ ـ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في التمهيد.
الثالث: أن آله ـ ﷺ ـ أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم.
الرابع: أن آله ـ ﷺ ـ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.
والصحيح: هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان.
وأما تنصيصه على الأزواج والذرية فلا يدل على اختصاص الآل بهم، وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقيون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه، وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام وعكسه تنبيها على شرفه). اهـ مختصرا. انظر: جلاء الأفهام (صـ٢١٠ ـ ٢٢٤).
وهذا الذي رجحه ابن القيم ـ رحمه الله ـ (من كون أن آل النبي ـ ﷺ ـ هم من حرمت عليهم الصدقة)، وكما ذكر أن هذا ما ذهب إليه الشافعي وأحمد وجمهور أصحابهما، وهو أيضا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وذهب أيضا إلى دخول أزواجه ـ ﷺ ـ ورضي الله عنهن ـ في آل البيت، ولينظر: حقوق آل البيت (صـ٢٥، وما بعدها)، ومنهاج السنة (٧/٧٥، وما بعدها).
قال شيخ الإسلام: وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ بغدير خم.. إلى أن قال: قيل لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: الذين حرموا الصدقة: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس. قيل لزيد: أكُلُّ هؤلاء أهل بيته؟ قال: نعم. =

وقد روى الشيخان ـ البخاري ومسلم رحمهما الله ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا»[(١)].

وأما فضل آل البيت وقدرهم فلا يحتاج مع شهرته ووجوب الإيمان به إلى كثرة استدلال، وإنما نذكر منه نزرًا يسيرًا؛ طلبًا لحصول الشرف بالحديث عنهم، فقد أمرنا بمودة أهل البيت، وجعلت مودتهم من باب

= وقد ثبت عن النبي ـ ﷺ ـ من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
سأل الصحابة: كيف يصلون عليه، فقال: «قولوا: اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
وفي حديث صحيح: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته».
وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول تمرة من تمر الصدقة قال له: «كَخٍ، كَخٍ؛ أما علمت أَنَّا آل بيت لا تحل لنا الصدقة؟». اهـ حقوق آل البيت (صـ٢٨ ـ ٢٩).
وهذا، وقد استفاض الأستاذ محمد سالم الخضر في بحثه: أهل البيت بين مدرستين، في ذكر الخلاف الحاصل في الباب، وذكر كلام ابن القيم وزاد عليه، وهو من أبحاث المبرة النافعة ـ نفع الله بها ـ، فلينظر (صـ١٥)، وينظر أيضا مقدمة تحقيق كتاب استجلاب ارتقاء الغرف (١/١٢٧).

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

الشكر على الرسالة، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣](١)، فللآل شرف لا يشترك معهم فيه غيرهم، ولهم من الفضل ما لا ينكره مسلم، فهم الذين أراد الله تعالى طهارتهم بخصوصهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣](٢)، وفي صحيح مسلم عن عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣](٣).

وقد أوصى النبي ـ ﷺ ـ بهم، وأكد الوصية، ففي صحيح مسلم أيضا عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا،

---

(١) روى البخاري (٤٨١٨) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فقال سعيد بن جُبَيْر: قربى آل محمد ـ ﷺ ـ فقال ابن عباس: عَجِلْتَ؛ إن النبي ـ ﷺ ـ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا، دعا النبي ـ ﷺ ـ أقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصا به، وهم: علي، وفاطمة رضي الله عنهما، وسيدي شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي..، وقد ثبت أيضا بالنقل الصحيح: أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي ـ ﷺ ـ على أزواجه، وخيرهن). حقوق آل البيت (صـ٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٤٢٤).

بماء يدعى خُمًّا.. ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وقد جاءت الصلاة على الآل دلالة على شرفهم أيضا، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

هذا، وقد تعلق بالحديث عنهم أصناف عدة من المنصفات دارت في فلكهم، ذكر فيها من فضائلهم وتراجمهم وسيرهم، والأحداث التي ألمت بهم؛ ربما لا نستطيع حصرها كثرة، حتى أن الطباطبائي[3]، له

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) من علماء الشيعة في إيران، معروف بتحقيقاته التراثية، وفهرسته للمخطوطات، توفي (١٩٩٦م).

مصنف، ذكر فيه ما صنفه أهل السنة باللغة العربية في آل البيت[1]، مقتصرا على ذلك، فذكر فيه قريبا من ألف عنوان.

❊ ثالثا: الوقت:

ربما كان من الصعب وضع تعريف متفق عليه للوقت، نظرًا لأن التعريف هنا راجع إلى مجموعة الأفكار والأيديولوجيات التي تكون الفلسفة التي ينطلق منها[2]، إلا أننا يمكننا القول باختصار أن الوقت من

---

(١) وقد جعل شرطه في الكتاب أن يذكر ما صنفه أهل السنة باللغة العربية فقط، وبذلك يتبين حجم الاهتمام البالغ بآل البيت، وإذا أضفت لذلك ما ألفه غيرهم، أو ما صنفوه بغير العربية.

قال الطباطبائي في مقدمة كتابه: (وهذا ما عثرت عليه ممّا ألّف في فضائل أهل البيت: مجتمعة أو منفردة، ومجتمعين أو منفردين، ممّا وجدته في المكتبات أو قرأته في الفهارس، ولم أذكر من ذلك ما ألّفه أصحابنا الإمامية فإنّ ما ألّفوه في ذلك عبر القرون لا يكاد يحصى.

ولا ذكرت ما ألّف في جدّهم الرسول ـ ﷺ ـ من سيره ومغازيه وشمائله وفضائله وما إلى ذلك، فإنّ ذلك أيضا لا يكاد يحصى، ولا ذكرت ما كان منه بغير اللغة العربية). اهـ أهل البيت في المكتبة العربية (صـ١٠).

(٢) يختلف التعريف الاصطلاحي للوقت بحسب نظرة كل طائفة له، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن القيم: (وتوبة الخواص من تضييع الوقت، فإنه يفضي إلى درك النقيصة..، ليس مراده بتضييع الوقت إضاعته في الاشتغال بمعصية أو لغو، أو الإعراض عن واجبه وفرضه، فإنهم لو أضاعوه بهذا المعنى لم يكونوا من الخواص، بل هذه توبة العامة بعينها، والوقت عند القوم أخص منه في لغة العرب). اهـ مدارج السالكين (٢٧٧/١). =

الناحية الشرعية واللغوية جاءت الألفاظ والمعاني المعبرة عنه قريبة نوعا ما من بعضها، ومن هنا يمكن القول باختصار أن الوقت: هو تلك المدة الزمنية التي يمضيها الإنسان في فعل شيء ما، سواء كان نافعا أو غير نافع[1]، فمتى قام الإنسان بعمل من الأعمال، فالوقت هو ما استغرقه من الزمان في ذلك العمل، ونحو هذا المعنى جاء في السنة، وفي المعاجم والشروحات كذلك، قال ابن الأثير: (قد تكرر ذكر التَّوْقِيتِ والمِيقات في الحديث، والتَّوْقِيتُ والتَّأْقِيتُ: أن يجعل للشيء وقت يختص به، وهو بيان مقدار المدة. يقال: وَقَّتَ الشيء يُوَقِّتُهُ. ووَقَتَهُ يَقِتُهُ، إذا بين حده)[2].

وما أمضاه الإنسان من الزمان في الحياة وقت أيضا، وهو هنا عمره، فالوقت هو العمر، والعمر هو الحياة، قال ابن منظور: (العَمْر والعُمُر والعُمْر: الْحَيَاة)[3]، عن الحسن قال: (ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما

= فمن كلامه ـ رحمه الله ـ يتضح أن للوقت معنى عند الخواص، وله معنى عند العامة، والوقت عند الخواص أخص من الوقت في لغة العرب.

(١) وما نقل من التعريفات اللغوية والاصطلاحية قريب من هذا، ومنها:
قال ابن منظور: (الوقت: مقدار من الزمان، وكل شيء قدّرت له حينا فهو مؤقت، وكذلك ما قدرت غايته، فهو مؤقت.
[قال] ابن سيده: الوقت مقدار من الدهر معروف، وأكثر ما يستعمل في الماضي). لسان العرب (٢/١٠٧).
وقال ابن منظور أيضا: (الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره). اهـ لسان العرب (١٣/١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/٢١٢).

(٣) لسان العرب (٤/٦٠١)، ونحو هذا قاله أيضا الفيروزآبادي، ينظر القاموس المحيط (صـ٤٤٤).

ذهب يوم ذهب بعضك)[(١)]، لذا قال د. محمد شحارة: (لعل إطلاق صفة الحياة على قتلة أوقاتهم إطلاق خاطئ)[(٢)].

فإن كان هذا من جهة الشرع واللغة في المعنى العام للوقت، فإنه من الناحية الاصطلاحية كان قريبا من ذلك أيضا، حيث عُرِّف بأنه المدة التي تستغرق في عمل ما[(٣)].

وربما كان من الأمور التي جعلت من الصعب وضع تعريف متفق عليه للوقت أننا لا نستطيع التعامل مع الوقت من حيث هو زمن مجرد؛ فلا نستطيع التغير فيه بزيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو غير ذلك،

---

(١) حلية الأولياء (١٤٨/٢).

وقد روي نحو هذا المعنى من كلام أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ مع زيادة فيه، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

فمن كلامه ـ رحمه الله ـ يتضح أن للوقت معنى عند الخواص، وله معنى عند العامة، والوقت عند الخواص أخص من الوقت في لغة العرب.

(٢) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة (صـ٣٥).

(٣) فقد نقل د. خالد الجريسي طرفا منها في بحثه: إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، فقال: (ونظراً لأنه من الصعب تقديم تعريف محدد ودقيق للوقت، وبخاصة في مجال الإدارة، فقد تم اللجوء إلى تعريف محايد يشير إليه قاموس (Webester's New World College Dictionary) الذي تعتمده الدراسة الحالية، وهو: «الفترة التي تُستغرق في أداء تصرف أو عملية ما»). اهـ إدارة الوقت من المنظور الإسلامي (صـ١٨).

وقال د. محمد أمين شَحَارة، وقد نقل طرفا من تعريفات الوقت: (يتبين لنا من تلك التعريفات، الوقت هو جزء معروف من الزمن). اهـ إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة (صـ٣٢).

وإنما الذي نستطيعه هو التعامل الأمثل معه، والذي يكون من خلال كيفية إنفاقه، والشيء الذي ينفق فيه، ولما كانت المثالية هنا مختلفة باختلاف الأفكار والأزمان والأحوال كانت رؤية الناس للوقت مختلفة.

وعليه فإن الوقت هو العمر، وهو الحياة، وهو أيضا ما ينفق من الزمان في كل عمل يقوم به الإنسان خلال تلك الحياة من مولده إلى مماته. وإدارته هي إدارة للحياة كلها.

* رابعا: إدارة الوقت:

إدارة الوقت هي إدارة للذات، هكذا باختصار وسهولة عبرت طائفة من ذوي الاختصاص في إدارة الوقت[1]، ولكن الخلاف في تعريف إدارة الوقت من الناحية الاصطلاحية أكثر وضوحا منه في تعريف الوقت، وذلك لأن مبنى التعريفات الاصطلاحية يصاغ في الأساس بناء على الوجهة والمرجع والمغزى، المختلف في الأساس باختلاف وجهات

(١) يقول الدكتور محمد أمين شحارة في كتابه: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، بعدما أشار أن أصناف المنشغلين بأنواع الأعمال المختلفة هم بحاجة إلى الإدارة، قال: (ويجمع هؤلاء وغيرهم حاجتهم قبل ذلك إلى إدارة أنفسهم، فكل فرد مسؤول عن نفسه أولًا، ويطلق على هذا النوع من الإدارة: إدارة الوقت). اهـ إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة (صـ٢٩).
وقال أيضا د. إبراهيم الفقي في سياق تعريف إدارة الوقت: (إدارة الوقت تعني أولا إدارة الذات، فهي نوع من إدارة الفرد نفسه بنفسه) إدارة الوقت للدكتور إبراهيم الفقي (صـ٣٣).

النظر، إلا أن هذه التعريفات أيضا تدور في فلك تخطيط الوقت وتنظيمه، مع توزيع القدر المتاح منه على الأمور المستهلك فيها ذلك الوقت حسب الأهمية والأولوية، يقول د. خالد الجريسي: (فإدارة الوقت هي الاستخدام الأفضل للوقت، وللإمكانات المتاحة، وذلك بطريقة تؤدي إلى تحقيق الأهداف)[1].



(١) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري (صـ٥١).
وقد نقل عددا من التعريفات الاصطلاحية لإدارة الوقت، فقال: (وثمة تعريفات متعددة لإدارة الوقت، إذ يعرِّفها هلمر (Helmer) بأنّها تحديد ووضع أولويات لأهدافنا، بحيث يمكننا تخصيص وقت أكبر للمهمات الأساسية، ووقت أقل للمهمات التافهة.
ويرى سهيل سلامة أن إدارة الوقت هي: استثمار الوقت بشكل فعال؛ لتحقيق الأهداف المحددة في الفترة الزمنية المعينة لذلك.
أما عبد العزيز ملائكة فقد حاول في تعريفه الجمع بين كلٍّ من المنظورين الإسلامي والإداري معاً، حيث يعرّف إدارة الوقت بقوله: هي تخطيط استخدام الوقت وأسلوب استغلاله بفاعلية، لجعل حياتنا منتجة، وذات منفعة أخروية ودنيوية لنا ولمن أمكن من حولنا، وبالذات من هم تحت رعايتنا) اهـ المصدر نفسه (صـ٥٠ ـ ٥١).



تحديد مناط البحث



بناء على ما سبق نستطيع القول أن مناط البحث هنا هو: كيف أنفق الآل والأصحاب أوقاتهم، وكيف نظموها وخططوا لها واستثمروها، وكيف وزّعوها على الحقوق والمسؤوليات المنوطة بهم، حتى حظي كل حق بنصيبه منها، وكيف كان النصيب الأكبر للأعمال العظام، ذات النفع المتعدي، والثواب العظيم، وصور الجد والاجتهاد في حياتهم، وأنه إن أنفق مزيدا من الوقت في بعض الأعمال بعينها فإن الحكمة والمصلحة الراجحة اقتضته.

وسنذكر من أقوالهم وأفعالهم ما يتضح به ذلك كله إن شاء الله تعالى.





الفصل الأول

الوقت في الإسلام

الفصل الأول

الوقت في الإسلام



ونتناول في هذا الفصل الكلام عن الوقت في الإسلام وأهميته، والنظرة الشرعية للوقت في: القرآن، والسنة، وفي التراث الإسلامي وعلماء الأمة، وما تميزت به النظرة الإسلامية للوقت، فإن للوقت في الإسلام شأن عظيم، ويبدو ذلك جليا بتنوع الخطاب عنه في القرآن والسنة وكلام الأئمة الأعلام، ومن المساحة التي شغلها، وصور الاهتمام به.



المبحث الأول

الوقت في القرآن



لا شك أن للوقت والزمان عموما شأن عظيم في كتاب الله تعالى، فكل قارئ لكتاب الله تعالى وكل مستمع لآياته يرى ذلك بوضوح، حين تمر عليه الآية تلو الأخرى، وحين يرى تنوع الخطاب في ذلك، فيجد تارة التذكير بأن الوقت نعمة من أجل نعم الله تعالى على عباده، أو أن الله تعالى يقسم به أو بجزء منه؛ بيانا لشرف قدره وعظم منزلته، وتارة يذكِّر ربنا سبحانه أن خلق الزمان، وتصريفه، وتنوع مروره بين ليل ونهار، وأشهر وسنين من الآيات العظام التي توجب التفكر والإنابة، ويرى كذلك آيات تأمر بحسن استغلاله لوقته، وأخر فيها تحسر من ضاع وقته وفات زمانه بلا نفع، أو في شر قضاه فيه، كما أنك ترى في بعض إرشاد للناس في جعل أوقات النهار للسعي والطلب، وأوقات الليل للراحة والسكون، وغير ذلك من صور الحديث عن شرف الوقت، وعظيم منة الله تعالى به على خلقه.

وسنعرض بعض الآيات التي اشتملت على تلك المعاني:

❊ قسم الله تعالى بالزمان أو بجزء منه بيانا لشرف قدره وعظيم منزلته:

من أوضح ما يبرز قيمة الوقت هو أن الله تعالى ـ وهو اللطيف الخبير ـ يقسم به في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، والعصر هنا ـ كما عليه كثير من المفسرين ـ هو الدهر عموما أو جزء منه[(١)]، فما أقسم الله تعالى به إلا لشرفه، وقد أقسم به أيضا على أمر شريف، قال الرازي: (فكأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم به...، وقد بينا هناك أن الزمان أعلم وأشرف من المكان، فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسما بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته)[(٢)].

وأقسم الله بجملة من الأوقات والأزمنة الشريفة بيانا لفضلها، فقال سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢]، وقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١ ـ ٢]، وأقسم أيضا بوقت بعينه لبيان خصوص فضله، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣ ـ ٣٤]، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا

---

(١) قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره، بعد ذكره الأقوال في الآية الكريمة، وأن المقصود بالعصر الدهر أو العشي أو ساعة من النهار، ثم قال: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر، والعصر اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه). تفسير الطبري (٦١٢/٢٤).

(٢) تفسير الرازي (٢٧٧/٢٢) باختصار.

تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨].

كما جعل الله تعالى تنوع الأوقات من الآيات الدالة على عظمته سبحانه وربوبيته ووحدانيته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وقال تعالى أيضا: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ٤].

وذكر سبحانه أن تنوع الأوقات، وما يحمل كل وقت من صفات تعين الناس على دينهم ودنياهم من خصائص قدرته، وأن المنة في ذلك راجعة له وحده سبحانه، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ ـ ٧٣].

وفي باب تقسيم اليوم إلى أوقات محددة: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧ ـ ١٨]، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

❁ بيان أن الله تعالى وقت للناس زمانهم ؛ إعانة لهم على أمور دينهم ودنياهم:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ، وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] ، أي هي مواقيت لكم، تعرفون بها أوقات صومكم وإفطاركم، ومناسك حَجّكم، وبين الحكمة من وجود الأهلّة، وأنه يستعين بها الناس في التوقيت لأمور حياتهم وعباداتهم، ليعلموا دخول السنين وانقضاءها وحساب أيامها، فتنتظم معيشتهم.

❁ بيان أن الله تعالى أعان عباده على تنظيم أوقاتهم، وتخصيص كل وقت لما يناسبه:

أعان الله تعالى عباده على تنظيم الوقت، وتقسيمه بين الالتزامات والاحتياجات، فبين سبحانه أن اليوم مقسم إلى جزأين أساسين، جُعل أحدهما للنشاط والسعي، والآخر للسكينة والراحة، وجَعل ما كان من الوقت مناسبا منه للنشاط والعمل كذلك، وما كان للسكن والراحة فله، وأن ذلك من جملة نعم الله على خلقه، ودلائل ربوبيته، فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧] ، وقال أيضا: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠ - ١١] ، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ

تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال أيضا: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ۝٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ ـ ٧٣].

فكان جعل الليل محلا لسكون والراحة متناسبا مع الفطرة السليمة، وسببا لجلب الراحة والعافية للأبدان، وإعانة على التنظيم والتقسيم، وجعل النهار محلا للعمل والنشاط والسعي من أسباب البركة وطلب الأرزاق، فكان الليل وما يتجلاه من الظلمة أنسب للنوم السكون، بعدما عناء البدن في مشقته في سعيه حال انتشار النهار[1].

(١) قال الجاحظ: (وإنما نام الناس بالليل عن حوائجهم، لأنّ التمييز والتفصيل والتبيّن لا يمكنهم إلّا نهارا، وليس للمتعب المتحرّك بدّ من سكون يكون جماما له. ولولا صرفهم التماس الجمام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه، والوقت مانع من التمييز والتبيّن، لكانت الطبائع تنتقض.

فجعلوا النّوم بالليل لضربين:

أحدهما: لأنّ الليل إذ كان من طبعه البرد والرّكود والخثورة، كان ذلك أنزع إلى النوم وما دعا إليه، لأنّه من شكله.

وأمّا الوجه الآخر: فلأنّ الليل موحش مخوف الجوانب من الهوامّ والسباع، ولأنّ الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير، والدراهم، والحبوب، والبزور، والجواهر، وأخلاط العطر، والبربهار وما لا يحصى عدده، فقادتهم طبائعهم وساقتهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه، والانتشار والتصرف في موضعه على ما قدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه. وأمّا السباع فإنها تتصرّف وتبصر بالليل، ولها أيضا علل أخرى يطول ذكرها). اهـ الحيوان (١/١٨٨).

وبين سبحانه أن من جملة صفات الفائزين بسعادة الدارين تنظيم أوقاتهم بين حقوق الله تعالى وحظ النفس والبدن من الراحة، فقال سبحانه: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].

وفي جانب مراعاة معاش الناس مع إقامتهم العبادة على الوجه الفاضل يقول تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٦ - ٧].

ومن ذلك يظهر جليا أن للعبادة وقتها، وللمعاش والسعي وقته، وتقسيم الوقت بين هذا وذاك، ومراعاة الجانبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

❊ بيان أن القدر الممنوح من الوقت للإنسان كاف للقيام بما أوجبه الله تعالى عليه:

إن المقدار الذي منحه كل إنسان منا من العمر لهو كاف في الحقيقة

للقيام بما كلفه الله تعالى به، وهو كفيل بتحقيق الفوز والفلاح له في الدارين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

فكم من معمّرٍ ذهب عمره هباء، وكم من إنسان مات في مقتبل عمره، ومع ذلك هو أعلا علّيين، له من الآثار الباقية مدد القرون، وسير الأعلام مليئة بالأمثلة على ذلك.

* تعين أوقات مخصوصة بالشرف ومضاعفة الأجور:

وهب الله تعالى لعباده الصالحين، أوقاتا وأزمنة معلومة، تضاعف فيه الأجور، وتزداد فيها البركة، وبينها لنا؛ لنوليها مزيدا من الاهتمام والجهد، طلبا لمضاعفة الأجور، وحصول البركة في الأعمال والأعمال، يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال أيضا: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١ ـ ٤]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فهذه وغيرها من الأوقات والأزمنة الشريفة التي نبهنا الله تعالى لشرفها وعظيم قدرها، ومضاعفة

الأجر فيها، فبينها بيانا جليا لبعث النشاط وبذل الجهد فيها.

❊ اقتران جملة من العبادات بعامل الوقت:

ومن بيان مدى قيمة الوقت أن الله تعالى ربط العديد من العبادات، ومن أركان الإسلام العظام بالتوقيت؛ فجعلت على صلة وثيقة بالوقت؛ إذ يجب أداؤها في وقت بعينه، وزمان محدد لها، فمن أعظمها شأنا الصلاة، قال سبحانه في شأنها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[1] [النساء: ١٠٣]؛ قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أيضا: (إن للصلاة وقتا كوقت الحج)[2].

---

(١) قال الطبري في تفسيره في سياق ذكر الأقوال في تأويل الآية، وأن بعضهم أوّلها بمعنى: فرضا مفروضا، وقال آخرون: فرضا واجبا، ثم قال: (وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ منجما يؤدونها في أنجمها.. عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ قال: منجّما؛ كلما مضى نجم جاء نجم آخر، يقول: كلما مضى وقت جاء وقت آخر.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض، لأن ما كان مفروضا فواجب، وما كان واجبا أداؤه في وقت بعد وقت فمنّجم. غير أن أولى المعاني بتأويل الكلمة قول من قال: إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضا منجما، لأن الموقوت إنما هو مفعول من قول القائل: وقت الله عليك فرضه فهو يقته، ففرضه عليك موقوت، إذا أخبر أنه جعل له وقتا يجب عليك أداؤه. فكذلك معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ إنما هو كانت على المؤمنين فرضا، وقت لهم وقت وجوب أدائه، فبين ذلك لهم). اهـ تفسير الطبري (٤٥١/٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤٥١/٧).

كذلك الحال في الصيام، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قول: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن أصناف الزكاة كذلك، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ونحوه في الحج أيضا، قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وفي باب ذكره سبحانه قال تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] وغيرها من الآيات.

هذا، ولا يُستطاع الإتيان بكل ما حمله القرآن الكريم من معان وحكم متعلقة بقيمة الوقت، وشرف الزمان، فهذا تمام علمه عند الحكيم الخبير سبحانه.

وقد جاءت السنة المطهرة بنحو من هذه المعاني، وكما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله.



المبحث الثاني
الوقت في السنة المطهرة



لا يخفى على كل ناظر في السنة النبوية المشرفة ـ دون جهد ـ ما للوقت من حظ وافر فيها، أما المتبحر فيها فإنه يرى من درر ذلك الشيء الكثير.

فتجد في حديث النبي ـ ﷺ ـ صورا متنوعة لشأن الوقت وشرف منزلته؛ فتجد التخويف من إضاعته، والتحذير الشديد من عدم استغلال أوقات النشاط والقوة، والنصيحة بمراعاة كافة الحقوق في إنفاقه، والأمر بأداء العبادة في وقتها، وغير ذلك من صور الاهتمام بالوقت في السنة المشرفة، كما سيتضح بإذن الله تعالى.

* بيان أهمية الوقت، وأنه نعمة من أجلّ النعم، وأن ضياعه ومن أعظم الخسران:

تأتي السنة بما يوافق كتاب الله تعالى، وتأكد أن الوقت نعمة من أجلّ النعم، إلا أن الكثير لا يفطن لذلك؛ فلا يبادر بحسن استغلالها، حتى إذ خسرها علم أنه خسر أثمن ما كان يملك، «نعمتان مغبون فيهما

كثير من الناس: الصحة والفراغ»[1]، فجاء الحديث للتحذير من ذلك، والتوجيه لاستغلال الأوقات، خاصة ما كان فيه الإنسان في سلامة وعافية، وقلة شواغل.

* بيان مدى مسؤولية الوقت:

جاءت السنة أيضا بما يفيد أن العمر في ذاته مسؤولية يسأل عنها كل إنسان، فقد صحح الإمام الترمذي حديث أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيهما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[2].

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٢) رواه الدارمي في مسنده (٥٥٤)، ومن طريقه الترمذي (٢٤١٧)، وأبو يعلى الموصلي (٧٤٣٤)، والروياني في مسنده (١٣١٣).

كلهم من طريق الأسود بن عامر قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة به.

قال الترمذي: (صحيح، وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصري، وهو مولى أبي برزة، وأبو برزة اسمه: نضلة بن عبيد).

وقال الألباني: (صحيح). صحيح الجامع (٧٣٠٠).

لكن قال في أنيس الساري: (سعيد بن عبد الله بن جريج ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: مجهول، والأعمش مدلس ولم يصرح بالسماع، وأبو بكر بن عياش مختلف فيه، والأكثر على توثيقه، وهو كثير الخطأ، كما صرّح بذلك غير واحد. ولم ينفرد أسود بن عامر به، بل تابعه يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني..). اهـ أنيس الساري (٦١٠٦/٩)، وقد ذكر من خرجه، ومتابعاته، وشواهده بتوسع، فلينظر.

فمن هذا الخبر تظهر مدى مسؤولية الإنسان تجاه وقته وعمره، ومدى أهمية هذا الوقت بالنسبة له، وكونه مسؤولا عنه في أول ما يسأل.

❋ الحث على استغلال أوقات النشاط في أداء الأعمال:

وقد حثنا النبي - ﷺ - على استغلال أوقات النشاط والهمة العالية، واغتنام تلك المنح التي ربما لا تعوض، فمتى وجد الإنسان نفسه كذلك فليغتنم تلك الفرصة، فإنه لا يدري متى تذهب، أو متى تعود، فإن أصابه الفتور فليكن همه ألّا يخرجه ذلك عن الطريق الحقة، فيتعرض للخسران والهلاك.

فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي، فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك، فقد هلك»[1].

وعن عمرو بن ميمون مرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك»[2].

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦٩٥٨)، وابن خزيمة (٢١٠٥)، وابن حبان (١١).
قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير (٢١٥٢).
وقال الشيخ شعيب في تعليقه على مسند أحمد: إسناده صحيح على شرط الشيخين. مسند أحمد (٣٧٦/١١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢)، وابن أبي شيبة (٣٤٣١٩)، كلاهما عن عمرو بن ميمون مرفوعا، وهو حديث مرسل.

فهذا توجيه النبي - ﷺ - بالحث على استغلال الأوقات المباركة التي يكون فيها نشاط الإنسان في ذروته، فيضاعف العمل والإنتاج في آن، فيعظم الأجر والجزاء.

* بيان ما جاء في السنة من: تنظيم الوقت وتخطيطه، وإعطاء كل شيء حقه وقدْره، وأن للنفس حقا أيضا:

إن من أوضح ما ورد في السنة المطهرة مما يجلي مسألة تنظيم الوقت، وتقسيمه بين الحقوق والواجبات المتنوعة، وإعطاء كل شيء حقه ونصيبه من ذلك، بما في ذلك حق النفس من الراحة والاستجمام، واللذة المباحة، ذلك الإرشاد النبوي الشريف، والإقرار للتقسيم الحكيم بين الحقوق والواجبات وحظ النفس أيضا.

فقد روي عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْب السُّوَائِيّ - رضي الله عنه - قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى

النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[١].

فالنبي - ﷺ - هنا يقرر ما ذكره سلمان - رضي الله عنه -، وأنه لكل حق من الحقوق وواجب من الواجبات قدر لابد له منه، فلا يطغى الإنسان على حق بدنه ولو كان بذريعة العبادة، وفي ذلك من مراعاة الشريعة لكل الجوانب المتعلقة بالإنسان، حتى ما كان منها متعلقًا براحة الأبدان، ونصيبها من اللذات المباحة، وإعطائها حقها من ذلك.

*** بيان ما جاء في السنة من: تحديد الأهداف، وترتيب الأولويات، وتقديم الأَوْلى منها:**

لا شك أن البدء بالواجب الذي لا ينفك عن صاحبه أولى من البدء بما هو دونه، فالقيام بالواجب هو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ففي الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»[٢]، فالبدء بالفرائض والواجبات - التي هي أولى من غيرها -، وهذه المعاني كلها واضحة جلية من سنة النبي - ﷺ - وهديه وسيرته، إذ كان من هديه وسيرته - ﷺ - أن يقدم العمل الذي جاء من أجله على غيره، ولو تشابهت المواقف، فيبدأ بما هو مطلوب أولا من جهة ترتيب الوقت والحاجة، ولو كان غيره أجل منه من جهة العموم.

ففي الصحيح عن محمود بن الربيع الأنصاري - رضي الله عنه -، أن عتبان

(١) رواه البخاري (٦١٣٩).
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار، أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله» قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك» قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له..[1].

وفي الصحيح أيضا عن أنس بن مالك، أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فلأصل لكم» قال أنس: فقمت إلى حصير لنا، قد اسود من طول ما لبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ، وصففت واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف[2].

فنراه ـ ﷺ ـ مرة يبدأ بالصلاة قبل أن يجلس ـ حين كانت الدعوة لأجل الصلاة ـ، ثم يثني بالطعام، ومرة يبدأ بالطعام ـ حين كانت الدعوة لأجل ـ الطعام، ثم يثني بالصلاة، وفي ذلك إشارة بإعطاء الأولية في

(١) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
(٢) رواه البخاري (٣٨٠)، ومسلم (٦٥٨).

ترتيب الأعمال لما يعرف بواجب الوقت.

❊ الحث على المبادرة بالأعمال قبل حصول الشواغل، واغتنام الفرص المتاحة:

إن الإنسان بحكم وجوده في الحياة الدنيا لابد له أن يتعرض فيها لبعض المحن أو الشواغل التي لا تكون في حسبانه، وبالتالي لم يضع لها أي خطط لمواجهتها، فيأتي الإرشاد النبوي الشريف باغتنام الأوقات الخالية من تلك المحن والشدائد التي في كثير من الأحيان تأتي فجأة، أو دون أن يعمل لها الإنسان حسابا، فإن بادر الإنسان قبل مجيئها باستغلال وقت عافيته وسلامته من ذلك فقد حقق فوزا عظيما، وإلا فلا يلومن إلا نفسه.

فكان النبي ـ ﷺ ـ يبادر بالأعمال ويحث على ذلك قبل حصول ما يشغل عنها من العوائق؛ فقال ـ ﷺ ـ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم..»(١).

وقال ـ ﷺ ـ: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أَوِ الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة»(٢).

فإن هذه الأمور العظام إذا جاءت أخرت الإنسان بلا شك عن مساره

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).

الذي يسيره فيه في حال عدهما، وألهته بما فيها من أحداث جسام، لذا كان الأولى له أن يبادر بالإكثار من الأعمال قبل مجيئها.

❊ بيان ما جاء في السنة من تعلق جملة من العبادات بعامل الوقت، وارتباطها به ارتباطا وثيقا:

وكما جاء في كتاب الله تعالى من بيان ارتباط العبادات في الإسلام بعامل الوقت ارتباطا وثيقا، جاءت السنة بنحو هذا أيضا.

ومن ذلك ما ورد عن النبيِّ ﷺ حين سأله عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها».. الحديث[1]، فكانت الصلاة لوقتها أول ما ذكر حين سئل ـ ﷺ ـ عن أفضل الأعمال، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

وفي شأن الصيام قال النبي ـ ﷺ ـ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»[2]، وفي شأنه أيضا قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[3]، فللصوم وقت معلوم، ولكيفيته توقيت محدد.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).

(٣) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

وكذلك حين ذكر النبي ـ ﷺ ـ أفضل صلاة تطوع، ذكر صلاة الليل، وبين أحسن تقسيم للوقت في ذلك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله ﷺ قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما»[١].

❋ الحث على اغتنام الأوقات الفاضلة:

كذلك أيضا حثنا النبي ـ ﷺ ـ على اغتنام الأوقات الفاضلة، التي يضاعف فيها الأجر، وبين ذلك.

فعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، يرفعه، قال: سئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: «أفضل الصلاة، بعد الصلاة المكتوبة، الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان، صيام شهر الله المحرم»[٢].

وكذلك أيضا حين ذكر النبي ـ ﷺ ـ الوقت المبارك من اليوم، الذي يكون أقرب لإجابة الدعاء، ومغفرة الذنوب، فرُبط ذلك بالوقت أيضا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني،

(١) رواه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) رواه مسلم (١١٦٣).

فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[١].

❊ إعطاء الواجبات المستحقة والاحتياجات المتنوعة قدرها ومساحتها المناسبة من الوقت:

كان النبي - ﷺ - مع اجتهاده في العبادة والتبليغ، وانشغاله بشؤون الأمة والرسالة، إلا أنه - ﷺ - كان لا يهمل حقا من الحقوق، فكان يوزع وقته بين الواجبات المتعددة، ويعطي كل شيء مساحته المناسبة من الوقت، فهو - ﷺ - الذي أقر سلمان حين نصح أبدا الدرداء - رضي الله عنهما - في ذلك، فقال له: (فأعطِ كل ذي حق حقه)، قال - ﷺ -: «صدق سلمان»[٢].

فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإن كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة»[٣].

وعنها أيضا - رضي الله عنها -، قالت: كان رسول الله - ﷺ - يحب الحلواء، ويحب العسل، وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنو منهن[٤].

فكان - ﷺ - يعطي أهله من وقته مقدار؛ يتحدث معهن، ويستمع إليهن، ومما يظهر ذلك بجلاء حديث عائشة - رضي الله عنها - المعروف بحديث أم زرع، حين جلست - رضي الله عنها - تحكي له - ﷺ - ما قصته إحدى عشرة

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) رواه البخاري، وقد سبق.

(٣) رواه البخاري (١١٦٧).

(٤) رواه البخاري (٦٩٧٢)، مسلم (١٤٧٤).



امرأة عليها من أحوالهن مع أزواجهن، وهو يستمع إليها في كل ذلك، ثم يجيبها بما يطيب به خاطرها[1].

(١) الحديث رواه بطوله البخاري (٥١٨٩) ـ واللفظ له ـ، ومسلم (٢٤٤٨)، عن عائشة، قالت: جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل: لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل، قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره، قالت الثالثة: زوجي العشنّق، إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق، قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة، قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد، قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث. قالت السابعة: زوجي غياياء ـ أو عياياء ـ طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلا لك، قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر، أيقن أنهن هوالك، قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح، أم أبي زرع، فما أم أبي زرع، عكومها رداح، وبيتها فساح، ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع، مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع، طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها، جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا، قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجا، وقال: كلي أم زرع=

وكان ـ ﷺ ـ يجلس لأصحابه، ويتحاور معهم، ويطرح المسألة ويستمع منهم؛ فعَنِ ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي» قال: فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: «هي النخلة»[1].

وكان ـ ﷺ ـ يجلس بين المتشاحنين من أصحابه يصلح بينهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: بلغ رسول الله ﷺ أن بني عمرو بن عوف بقباء كان بينهم شيء، فخرج يصلح بينهم في أناس من أصحابه، فحبس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة.. الحديث[2].

وكان ـ ﷺ ـ يجلس للذكر، وحوله أصحابه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ حين يتكلمون فيما يضحكهم، فيتبسم.

عن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرا، «كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح، أو الغداة، حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام،

= وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، قالت عائشة: قال رسول ـ الله ﷺ ـ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

(١) رواه البخاري (٦٢)، ومسلم (٢٨١١) بنحوه.

(٢) رواه بطوله البخاري (١٢١٨)، ومسلم (٤٢١).

وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم»[١].

وهكذا سيرته - ﷺ - كلها خير نموذج في هذا الباب، وسردها لا يحتمله المقام، صلوات الله عليه وسلامه.

* المثابرة والمداومة على العمل، والأمر بأن يكلف الإنسان نفسه من الأعمال ما يطيق:

وكان النبي - ﷺ - يداوم على الأعمال التي يقوم بها، ويحث على ذلك، وبين - ﷺ - أن أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأعظمها نفعا للإنسان ما كان مستمرا يداوم الأنسان عليه، لاشتمال ذلك على معاني الخيرية في العمل والعامل، وكان النبي - ﷺ - يأمر أن يكلف الإنسان نفسه من الأعمال ما يطيق؛ حتى يستطيع المداومة عليه.

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: سئل النبي - ﷺ -: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: «أدومها وإن قل» وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»[٢].

وعَنْها - رضي الله عنها - أيضا، أَنَّهَا قَالَتْ: «كان أحب العمل إلى رسول الله - ﷺ - الذي يدوم عليه صاحبه»[٣].

وعن مَسْرُوق، قال: سألت عائشة رضي الله عنها، أي العمل كان أحب إلى

---

(١) رواه مسلم (٦٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٢).

النبي ﷺ ؟ قالت: «الدائم»، قلت: متى كان يقوم؟ قالت: «كان يقوم إذا سمع الصارخ»[1].

وكان ينهى عن خلاف ذلك، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[2].

❊ الاجتهاد في العمل، وبلوغ الدرجة العليا في ذلك:

كان النبي ـ ﷺ ـ يجتهد في العمل اجتهادا عظيما، ويداوم أيضا على ذلك الاجتهاد، حتى أن غيره لا يطيق أن يعمل مثل عمله ـ ﷺ ـ.

فعن علقمة، قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ، يختص من الأيام شيئا؟ قالت: (لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يطيق)[3].

وكان ـ ﷺ ـ مع أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إلا أنه كان يحافظ ويداوم على ذلك الاجتهاد، وبلغ منه مبلغا عظيما، فإذا سئل عن ذلك أجاب بأنه شكر على ما أنعم الله تعالى به عليه.

فعن المغيرة، قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر

(١) رواه البخاري (٦٤٦١).

(٢) رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) رواه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا»[1].

عن عائشة - رضي الله عنها -: أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا فلما كثر لحمه صلى جالسا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع»[2].

* عدم الانقطاع عن العمل بحال حتى لو علم الإنسان قرب نهايته:

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٧).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد (١٢٩٠٢)، والطيالسي (٢١٨١)، وعبد بن حميد (١٢١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والبزار (٧٤٠٨)، كلهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك، عن أنس - رضي الله عنه -، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

وذكره الضياء المقدسي في المختارة (٢٧١٢)، وقال: إسناده صحيح.

وقال الهيثمي: (رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، لعله أراد بقيام الساعة: أمارتها). اهـ مجمع الزوائد (٦٢٣٦).

وقال الشيخ مصطفى العدوي في تعليقه على المنتخب: (صحيح..، وذكر الشيخ ناصر الألباني في السلسلة الصحيحة أن يحيى بن سعيد قد تابع هشام بن زيد، كما في الكامل لابن عدي. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة). اهـ مختصرا من تعليقه على المنتخب لعبد بن حميد (٢/٢٤٠).

فجاءت سنة النبي ـ ﷺ ـ بالحث على القيام بالعمل الذي يرجى نفعه، وإن كان القائم بالعمل نفسه ظن قيام الساعة.

فالنبي ـ ﷺ ـ هديه خير هدي، وسنته أفضل السنن؛ فأي وصية على أداء الأعمال على وجهها، والصبر والمثابرة عليها خير من ذلك؟! فكانت سيرته ـ ﷺ ـ أفضل نموذج على الإطلاق، فتعلم منه واهتدى بهديه ـ ﷺ ـ آل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فأخذوا من ذلك النبع الصافي حتى رووا وارتووا.





المبحث الثالث

الوقت في التراث الإسلامي، ونظرة السلف له



لقد حظي الوقت في التراث الإسلامي بحظ وافر، لم يحظ بمثله في ثقافة أخرى، وربما لم يحظ غير الوقت بمثل ما حظي به الوقت في التراث الإسلامي نفسه، فلا يكاد يخلو مصنف من الكلام عن الوقت بطريقة أو بأخرى سواء كان الكلام مباشرا، أو غير مباشر، أو عن قيمته، واستغلاله على الوجه الأكمل، وتوزيعه على الواجبات المختلفة، والتخطيط لذلك، وإعطاء النماذج والأمثلة على ذلك.

وقد أفردت له بعض المصنفات، وحظي بصيب وافر في أخرى، أو تناثر الكلام عنه في ثنايا كثير منها.

❊ أهمية الوقت، والنظر له على أنه عمر الإنسان:

ينظر للوقت في التراث الإسلامي على أنه أنفس ما يملكه الإنسان، وأنه رأس ماله الحقيقي، وبضاعته التي لا يكاد يملك غيرها، وبلغ الحفاظ عليه عند بعضهم ألا يفرط في مقدار نفس من أنفاسه، ولا لحظة من لحظات عمره، وكان أحدهم يفضل الاختصار في الطعام والشراب

والكلام المباح طلبا لاختصار الوقت، وسيأتي من كلامهم وأفعالهم بيان ذلك، ومن الأمثلة عليه ما تنبهر به العقول، وتنشرح له الصدور.

قال شمس الدين السفاريني: (وفي وصية الإمام الموفق ابن قدامة ـ طيب الله روحه ـ ما لفظه: فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها...، فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل، ولا تذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها. فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها، فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك؟! وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض؟!)[1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (**إضاعة الوقت أشد من الموت**؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها)[2].

وقال أيضا: (**فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة**، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضّنْك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب. فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره.

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/٣٥١).

(٢) الفوائد لابن القيم (صـ٣١).

وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته)[1].

قال الوزير بن هبيرة: [الكامل]

وَالْوَقْت أَنْفَسُ مَا عُنيتَ بِحفْظِه وَأَرَاهُ أَسْهلَ مَا عَلَيْك يَضِيعُ[2]

❊ إدارة الوقت تبدأ بالتخطيط والتنظيم اليومي للعمل:

تعد الخطوة الأولى لإدارة الوقت هي التنظيم والتخطيط اليومي للأعمال المنوطة بالإنسان، وتوزيعها على اليوم بحسب الحال، ومراعاة الأولويات، وقد دأب علماء المسلمين على هذا النسق في حياتهم ويومهم، ومنهم من نص على ذلك صراحة في بعض تصانيفه.

ومن ذلك ما ذكره ابن قدامة في كتابه: مختصر منهاج القاصدين، حيث اقترح نظاما لليوم والليلة، ورسمه بشكل دقيق، ربما فاق ما وضعه كثير من مؤلفي إدارة الوقت المعاصرين، من جهة الاستغلال الأمثل للأوقات، وبذل الحد الأقصى من الجهد، والانشغال بالأنفع، وقد راعى في تقسيمة الجوانب الدينية والدنيوية، حتى أنه نظم أوقات النوم والراحة، وراعى أيضا الفروق في الأحوال من شخص لآخر، ومع الشخص الواحد من آن لآخر، وسمى ذلك: أوراد اليوم والليلة، وسنذكره باختصار لأهمية، ودلالته:

(١) الداء والدواء (صـ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٦٧).

قال ابن قدامة: (بيان عدد أوراد[1] الليل والنهار وترتيبها: أوراد النهار سبعة، وأوراد الليل ستة:

الورد الأول من **أوراد النهار**: ما بين طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وهو وقت شريف، وقد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، وينبغي له قبل خروجه إلى صلاة الفجر أن يصلى السنة في منزله، ثم يطلب الصف الأول، فإذا صلى الفجر استحب أن يمكث في مكانه إلى طلوع الشمس، وليكن وظائف وقته أربعاً: الدعاء، الذكر، والقراءة، والفكر، وليأت بما أمكنه، وليتفكر في قطع القواطع، وشغل الشواغل عن الخير ليؤدّي وظائف يومه، وليتفكر في نعم الله تعالى ليتوفر شكره.

الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى الضحى، وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار، وهذا وقت شريف، وفيه وظيفتان: أحدهما: صلاة الضحى، أو حضور مجلس علم.

الورد الثالث: من وقت الضحى إلى الزوال، والوظيفة في هذا الوقت، الأقسام الأربعة، وزيادة أمرين:

أحدهما: الاشتغال بالكسب والمعاش، والثاني: القيلولة، فإنها مما تعين على قيام الليل..

(١) أراد بذلك الأعمال الواجبة على الإنسان في دينه ومعاشه، كما سيتضح من كلامه - رحمه الله -.

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر، وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها..

الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر، فيستحب له في هذا الوقت الاشتغال بالذكر، والصلاة، وفنون الخير..

الورد السادس: إذا دخل وقت العصر إلى أن تصفر الشمس، يتشاغل بالأقسام الأربعة التي سبق ذكرها في الورد الأول..

الورد السابع: من اصفرار الشمس إلى أن تغرب، وبالمغرب تنتهي أوراد النهار، فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه، فقد انقضت من طريقه مرحلة. وليعلم أن العمر أيام تنقضي جملتها بانقضاء آحادها.

⁕ ذكر أوراد الليل:

الورد الأول: إذا غربت الشمس إلى وقت العشاء، فإذا غربت صلى المغرب واشتغل بإحياء ما بين العشاءين.

الورد الثاني: من غيبوبة الشفق الأحمر إلى وقت النوم، يستحب أن يصلى بين الأذانين.

الورد الثالث: الوتر قبل النوم، إلا من كان عادته القيام بالليل.

الورد الرابع: النوم، وإنما عددناه من الأوراد، لأنه إذا روعيت آدابه وحسن المقصود به احتسب عبادة، وينبغي له أيضا أن لا يبالغ في تمهيد

الفراش متنعماً بذلك، فإنه يزيد في النوم.

الورد الخامس من أوراد الليل: يدخل بمضي النصف الأول إلى أن يبقى من الليل سدسه، وذلك وقت شريف [وذكر قيام الليل].

الورد السادس من الليل: السدس الأخير وهو وقت السحر، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

وأما الليل: فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي - رحمه الله -، فانه كان يقسمه ثلاثة أجزاء: الثلث الأول لكتابة العلم، والثاني للصلاة، والثالث للنوم، فأما الصيف، فربما لا يحتمل ذلك، إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار)[١].

ثم ذكر ابن قدامة تقسيم الوقت وتنوع الأعمال بين أصحاب المشاغل المختلفة، كالعالم والمتعلم والوالي والقاضي والمحترف، وفي ذلك نموذجا حيا رائعا لما نسميه إدارة الوقت، فما أروع هؤلاء القوم، وما أحفظهم لأوقاتهم، رحمة الله عليهم أجمعين.

* الاعتناء بالوقت الحاضر، وعدم الانشغال بغيره، سواء بالتحسر على فوات الماضي أو أحلام المستقبل:

إن الانشغال عن العمل والبذل في الحاضر بالبكاء على الماضي، أو الأماني المستقبلة، إنما هو في حقيقته ضياع للوقت الحاضر، فإن البكاء والمفرط، والحزن الذي يبعث الانكسار في النفس على ما فات

(١) مختصر منهاج القاصدين (صـ٥٧ ـ ٦٦) باختصار.



في الماضي؛ فضلا عن إضاعته للوقت، فإنه يجلب الإحباط واليأس في النفوس، التي تقعد عن العزيمة والنشاط في الحاضر، لذا كان مضيعا له، وكذلك بذل الوقت في أماني المستقبل التي لا تعدو كونها مجرد أحلام، مستهلكة الوقت الحاضر، مع عدم اقترابها من التحقق إذا ظلت في إطار الخيال.

قال ابن القيم: (فإن الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الوقت الحاضر، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين، فتصير أوقاته كلها فواتا.

قال الشافعي - رضي الله عنه -: صحبت الصوفية، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون: الوقت سيف؛ فإن قطعته وإلا قطعك. ونفسك إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك بالباطل.

وأيضا فالغيرة على التفويت تفويت آخر، كما يقال: الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر. ولذلك يقال: الوقت سيف، إن لم تقطعه، وإلا قطعك)[1].

ولا يخفى على ذي لب أن المراد بالندم هو ما أشرت أيه آنفا، وليس الندم الذي هو إقرار بالتقصير، وعزم على التعويض، وليس كذلك مقصود ابن القيم بالانشغال بالمستقبل التخطيط والترتيب، وإنما الأماني الكاذبة المهلكة للأوقات، والله أعلم.

---

(١) مدارج السالكين (٣/١٢٤ ـ ١٢٥).



المبحث الرابع

سمات النظرة الإسلامية للوقت



اتصفت النظرة الإسلامية للوقت بالعديد من الصفات والخصائص، اشتركت في بعضها مع غيرها من جهة أصل وجود الصفة، وتميزت وانفردت في البعض الآخر، وإن كان بلا شك أنها فاقت غيرها حتى في الصفات المشتركة؛ ذلك أن مبنى هذه النظرة راجع لما أوحى به الله تعالى وأنزله على عباده.

إن من أهم ما تميزت به النظرة الإسلامية عدم طغيان جانب على آخر، ومراعاة جميع الجوانب للإنسان، فللجوانب الإيمانية والروحانية الحظ الأوفر، وللمعاش والسعي وعمارة الأرض نصيبه الذي يحقق المبتغى منه، وللراحة وإعطاء النفس حقها منها وحظها المقدر لها أيضا، فلا هي مادية صرفة، ولا روحانية رهبانية صرفة، بل مزيج معتدل يراعي المصالح الخاصة والعامة والجوانب المختلفة للإنسان، وإن كان للعبادة ومراعاة الآخرة الحظ الأوفر في ذلك، ذلك مع النظرة الحكيمة في توزيع الوقت بين المهام المختلفة.

ومما تميزت به النظرة الإسلامية أيضا أن العمر يحسب باللحظة،

وأن القليل منه يساوي الكثير، فيمكن للمسلم أن يحصّل الأجر العظيم في الوقت اليسير بتوفيق من الله للعبد في ذلك.

وسنناقش بعض ما تميزت به النظرة الإسلامية للوقت من خلال النظر إلى أهميته وقيمة القليل والكثير منه.

۞ أولا: إعطاء قيمة عظمى للوقت:

الوقت في النظرة الإسلامية بالغ الأهمية؛ حيث ينظر إليه على أنه بضاعة الإنسان الحقيقية في هذه الدنيا، وأن الكثير منه أو القليل ذو قيمة عالية، وأن ضياع أي مقدار منه هو في الحقيقة انتقاص من عمر الإنسان، وليس نقصا من عمره فحسب، بل يتبع ذلك ضرر جسيم به، وقد عبر عدد من الأئمة عن تلك المعاني في جملة من مصنفاتهم.

قال ابن القيم: (فكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه: خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلا، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠])[١].

وقال ابن قدامة: (فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم،

(١) إغاثة اللهفان (١/١٣٧).



أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نَفَس يعدل أكثر من ألف ألف ألف عام في نعيم لا خطر له أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمة له)[1].

❁ ثانيا: الوقت أعظم من أن يضيع منه شيء:

لا يخفى قيمة الوقت وشرف منزله في النظرة الإسلامية للوقت، فقد بلغ منزلة ربما لا تضاهى، حتى أنه على بمنزلة عن أن يضيع منه القليل، أو يذهب منه اليسر في غير محله، وقد عبر بعض العلماء عن ذلك.

قال ابن مفلح: (فصل في العناية بحفظ الزمان واتقاء إضاعته فيما لا فائدة فيه من الزيارات وغيرها:

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: رأيت العادات قد غلبت على الناس في تضييع الزمان فهم يتزاورون فلا ينفكون عن كلام لا ينفع وغيبة، وأقله ضياع الزمان، وقد كان القدماء يحذرون من ذلك قال الفضيل: أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة..، وقد كان جماعة قد قعدوا عند معروف وأطالوا، فقال: إن ملك الشمس لا يفتر عن سوقها فمتى تريدون القيام؟...

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة، فكم يضيع للآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعة، وكأنه

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/٣٥١).



قد قيل: للإنسان كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألفا، هل ترى يجوز للعاقل أن يتوقف عن البذر أو يتوانى؟ والذي يعين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى، وقلة الأكل فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل، ومن نظر في سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته)[١].

❁ ثالثا: الوقت يُحسب باللحظة ويعد بالأنفاس، ومحاسبة النفس تكون على هذا القدر منه:

كانوا يصفون الإنسان بأنه أنفاس معدودة وأرزاق معدودة، فكأنما مثلوا عمره بعدد من الأنفاس، متى بلغه انتهى عمره، لذا كان العمر عندهم يحسب بالنَفَس، فكلما خرج من الإنسان نَفَس من الأنفاس كلما نقص من عمره بمقداره.

قال الرازي: (فلو ضيعت ألف سنة، ثم تبت في اللمحة الأخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد، فعلمت حينئذ أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، فكأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم به ونبه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف)[٢].

وقال ابن الجوزي: (وإهمال المحاسبة للنفس أصل التفريط، وأن

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/٤٧٤).

(٢) التفسير الكبير (٢٢/٢٧٧).



العمر إن لم يستدرك أدركه الفوت، وأن مراحل الأنفاس تسرع بالراكب إلى منزل الموت)[١].

قال ابن القيم: (فكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة.. فإضاعة هذه الأنفاس.. خسران عظيم)[٢].

وقال ابن قدامة: (وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نَفَس يعدل أكثر من ألف ألف ألف عام)[٣].

۞ رابعا: لكل واجب من الواجبات، وكل حاجة من احتياجات النفس وقتها المقدر لها:

تتعدد الواجبات والاحتياجات الإنسانية، وكان مما تميزت به النظرة الإسلامية للوقت أنها تراعي جميع الجوانب الإنسانية؛ فلا يعطى جانب المادة كل الوقت، ولا يعطى العبادة كل الوقت، ولا تهمل الراحة والترويح بينهما، وذلك مصداق للحديث الشريف، حين قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فَأَعْطِ كل ذي حق حقه، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «صدق سلمان»[٤]، ولما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

(١) مختصر منهاج القاصدين (صـ١٠).

(٢) إغاثة اللهفان (ص٨٩).

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/٣٥١).

(٤) رواه البخاري، وقد سبق.



مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وهذا التوازن من السمات الأصيلة في الإسلام، فقد روى مسلم - رحمه الله - عن حنظلة الأسيدي، قال: - وكان من كتاب رسول الله ﷺ - قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات(١).

فهكذا إذن تكون إدارة الوقت، ساعة وساعة، ساعة للعبادة والذكر، وساعة للعمل والجد، وساعة للترويح، وتوازن بديع، بتقدير من اللطيف الخبير سبحانه.

* * *

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).



۞ خامسا: الحث على المداومة على العمل بلا انقطاع ولا فتور:

لا تخفى روح الجهد والاجتهاد، والعمل غير المنقطع في عموم الشريعة بين آيات الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧]، والسنة المشرفة، كما في قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: كان عمله دِيمَةً[1]، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها)[2].

قال ابن الجوزي: (فصل: لا تُضَيّعْ لحظة في غير قربةٍ: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل)[3].

۞ سادسا: الموازنة والاعتدال في تقسيم الأوقات:

لاشك أن الموازنة في تقسيم الوقت مطلب حثيث، ولا شك أيضا أن الموازنة في هذا التقسيم مطلب لا يقل أهمية عن التقسيم نفسه، وقد روعي ذلك تمام المراعة في النظرة الإسلامية للوقت.

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

(٢) صحيح رواه أحمد: (١٢٩٠٢)، وعبد بن حميد (١٢١٤)، وقد سبق الكلام عليه.

(٣) صيد الخاطر (صـ٣٣).



قال ابن قدامة: (واعلم: أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فالاعتدال أن ينام من ذلك الثلث، وهو ثمان ساعات، فمن نام أقل من ذلك لم يأمن اضطراب بدنه، ومن نام أكثر من ذلك كثر كسله)[1].

۞ سابعا: طلب الأجر في كل لحظة حتى ما كان منه للنوم والراحة:

ومن أهم ما تمتاز به النظرة الإسلامية هو طلب الأجر من الله تعالى في كل عمل كبير أو صغير، حتى في وقت الراحة والمرح إن حَسُنت النية:

فعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، أن معاذا سأل أبا موسى ـ رضي الله عنهما ـ: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[2].

وقال ابن قدامة وهو يقسم الأعمال المنوطة بالإنسان في يومه وليلته: (الورد الرابع: النوم، وإنما عددناه من الأوراد؛ لأنه إذا روعيت آدابه، وحسن المقصود به احتسب عبادة)[3].

❊ ❊ ❊

(١) مختصر منهاج القاصدين (صـ٦٠).
(٢) رواه البخاري (٤٣٤١)، واللفظ له، وعند مسلم (١٧٣٣) مختصرا.
(٣) مختصر منهاج القاصدين (صـ٦١).



۞ ثامنا: مراعاة اختلاف الأحوال بين الناس:

ومما تميزت به أيضا النظرة الإسلامية أكثر من غيرها هي مراعاة اختلاف الأحوال بين الناس، وأن ما يجب على المتفرغ يختلف عمّا يجب على المنشغل، أو صاحب العذر.

قال ابن قدامة: (فصل في اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال:

اعلم: أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال: إما أن يكون عابداً، أو عالماً، أو متعلما.. وقد تختلف وظائفه، فقد كانت أحوال المتعبدين من السلف مختلفة، فمنهم من كان يغلب على حاله التلاوة.. ومنه من يكثر الصلاة، ومنه من يكثر الطواف بالبيت.

فإن قيل: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟

فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع، ولكن ربما عسرت المواظبة على ذلك، والأفضل يختلف باختلاف حال الشخص، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره، فلينظر المريد ما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه.. العالم: الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى، أو تدريس، أو تصنيف، أو تذكير، فترتيبه في الأوراد يخالف ترتيب العابد.. والأولى بالعالم أيضاً أن يقسم أوقاته، لأن استغراق الأوقات في العلم لا تصبر عليه النفس..)[1].

(١) مختصر منهاج القاصدين (صـ٦٥ ـ ٦٦).



۞ تاسعا: الوقت الممنوح للإنسان كفيل بتحقيق الأعمال المنوطة به:

ومن خصائص النظرة الإسلامية للوقت أيضا أن الوقت الممنوح من الله للعبد فيه الكفاية للقيام بما يناط به من أعمال.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر ٣٧].

قال الزمخشري: (﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ من الله.. وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر، إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم)[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بَلَّغَه ستين سنة»[٢].

۞ عاشرا: المباركة في الوقت عموما، وفي أوقات بعينها خصوصا:

من أهم الميزات والخصائص أن الله تعالى يبارك في الأوقات لعباده، وأن ذلك من إعانته سبحانه وتعالى وتوفيقه لهم:

فعن صخر الغامدي، عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار «وكان صخر

---

(١) الكشاف (٣/٦١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٩).



رجلا تاجرا، وكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله»[1].

قال ابن بطال: («اللهم بارك لأمتي في بكورها» لا يدل أن غير البكور لا بركة فيه؛ لأن كل ما فعل النبي ـ ﷺ ـ ففيه البركة، ولأمته فيه أكبر الأسوة. وإنما خص ـ ﷺ ـ البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات ـ والله أعلم ـ لأنه وقت يقصده الناس بابتداء أعمالهم، وهو وقت نشاط وقيام من دعة، فخصه بالدعاء؛ لينال بركة دعوته جميع أمته)[2].

وعن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[3].

فجاء الأمر بالاستفادة من الأوقات المباركة وأوقات النشاط.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وأحمد (١٥٤٣٨)، وأبو داود الطيالسي (١٣٤٢)، من طريق عمارة بن حديد عن صخر الغامدي به، وقال الترمذي: حديث حسن، ولا نعرف لصخر الغامدي عن النبي ـ ﷺ ـ غير هذا الحديث.

وقال الألباني: (حديث صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، وقوّاه ابن عبد البر والمنذري والحافظ ابن حجر والسخاوي). اهـ صحيح أبي داود (٢٣٤٥).

قلت: فيه عمارة بن حديد، قال عنه أبو الحسن القطان: (وعمارة بن حديد هذا، مجهول الحال، ولا يعرف روى عنه إلا يعلى بن عطاء، وقد سئل عنه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: فقال كل واحد منهما فيه: مجهول). اهـ بيان الوهم والإيهام (٣/٤٨٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٥/١٢٤).

(٣) رواه البخاري (٣٩).

قال ابن حجر: (قوله: «استعينوا بالغدوة» أي استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة)[1].

وقال عبد الرحمن بن سعدي: (ختم الحديث بوصية خفيفة على النفوس، وهي في غاية النفع. فقال: «واسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» وهذه الأوقات الثلاثة كما أنها السبب الوحيد لقطع المسافات القريبة والبعيدة في الأسفار الحسِّية، مع راحة المسافر، وراحة راحلته، وصوله براحة وسهولة، فهي السبب الوحيد لقطع السفر الأخروي، وسلوك الصراط المستقيم، والسير إلى الله سيراً جميلاً. فمتى أخذ العامل نفسه، وشغلها بالخير والأعمال الصالحة المناسبة لوقته ـ أوّل نهاره وآخر نهاره وشيئاً من ليله، وخصوصاً آخر الليل ـ حصل له من الخير ومن الباقيات الصالحات أكمل حظ، وأوفر نصيب، ونال السعادة والفوز والفلاح، وتم له النجاح في راحة وطمأنينة، مع حصول مقاصده الدنيوية، وأغراضه النفسية، وهذا من أكبر الأدلة على رحمة الله بعباده بهذا الدين الذي هو مادة السعادة الأبدية؛ إذ نصبه لعباده، وأوضحه على ألسنة رسله، وجعله ميسراً مسهلاً، وأعان عليه من كل وجه. ولطف بالعاملين، وحفظهم من

(١) فتح الباري لابن حجر (٥٩/١).
وقال ابن رجب أيضا: (وقوله: «استعينوا بالغدْوَة وَالرَّوْحَة وشيء من الدُّلْجَة» يعني أن هذه الأوقات الثلاثة أوقات العمل والسير إلى الله، وهي أول النهار وآخره، وآخر الليل. فالغدوة: أول النهار، والروحة آخره، والدلجة: سير آخر الليل). اهـ فتح الباري لابن رجب (١٥٢/١).



القواطع والعوائق)[1].

فإن من توفيق الله وإعانته للعبد مباركته له في وقته.

قال ابن القيم: (وإذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت، وجعل وقته مساعدا له، وإذا أراد به شرا جعل وقته عليه، وناكده وقته، فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده الوقت، والأول: كلما همت نفسه بالقعود أقامه الوقت وساعده)[2].

۞ حادي عشر: تكليف النفس بما تطيق من العمل:

ومن الخصائص الحميدة الحكيمة تكليف النفس بما تطيق من العمل، وعدم الإثقال والتشديد عليها، وذلك طلب لحصول النشاط لها، والقدرة على الاستمرار وتحقيق الأهداف.

فعن عائشة، أن النبي ـ ﷺ ـ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «من هذه؟» قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملوا»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الدين يسر، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»[4].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (صـ٧٩).

(٢) مدارج السالكين (١٢٥/٣).

(٣) رواه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥).

(٤) رواه البخاري (٣٩).



فكان الهدي النبوي أن يكلف الإنسان نفسه ما يطيق، وليس ذلك طلبا للراحة، وإنما مراعاة لحال النفس، وطلبا لاستدامة العمل، وطردا لما يجلب للنفس الملل والضجر، فتنقطع عن العمل.

❁ ثاني عشر: ضياع الوقت ضياع لما وجب فيه من العمل:

ومما تتضمنه النظرة الإسلامية للوقت أن لكل وقت واجبه الخاص، فإذا ضاع شيء من الوقت ضاع معه ما كان يجب فيه، وإذا جاء الوقت الذي يليه جاء بما يجب فيه أيضا، وأن ذلك مما يشمله معنى قولهم: إن ما ضاع من الوقت لا يمكن تعويضه.

قال ابن القيم: (والوقت أعز شيء عليه، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك، فإذا فاته الوقت لا يمكنه استدراكه البتة؛ لأن الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاص، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلى تداركه. كما في المسند مرفوعا: «من أفطر يوما من رمضان، متعمدا من غير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر، وإن صامه»)[1].

فهذا شيء مما تميزت به النظرة الإسلامية للوقت من سمات، وقد برزت هذه السمات والمزايا من مبادئ: الشمولية، والاعتدال، والتوازن، وإيفاء الحقوق، ومراعاة الجوانب المختلفة للإنسان؛ التي يراعيها الإسلام، لذا تجد أن الوقت في توزيعه والتعامل معه كان مقسمًا بين هذه

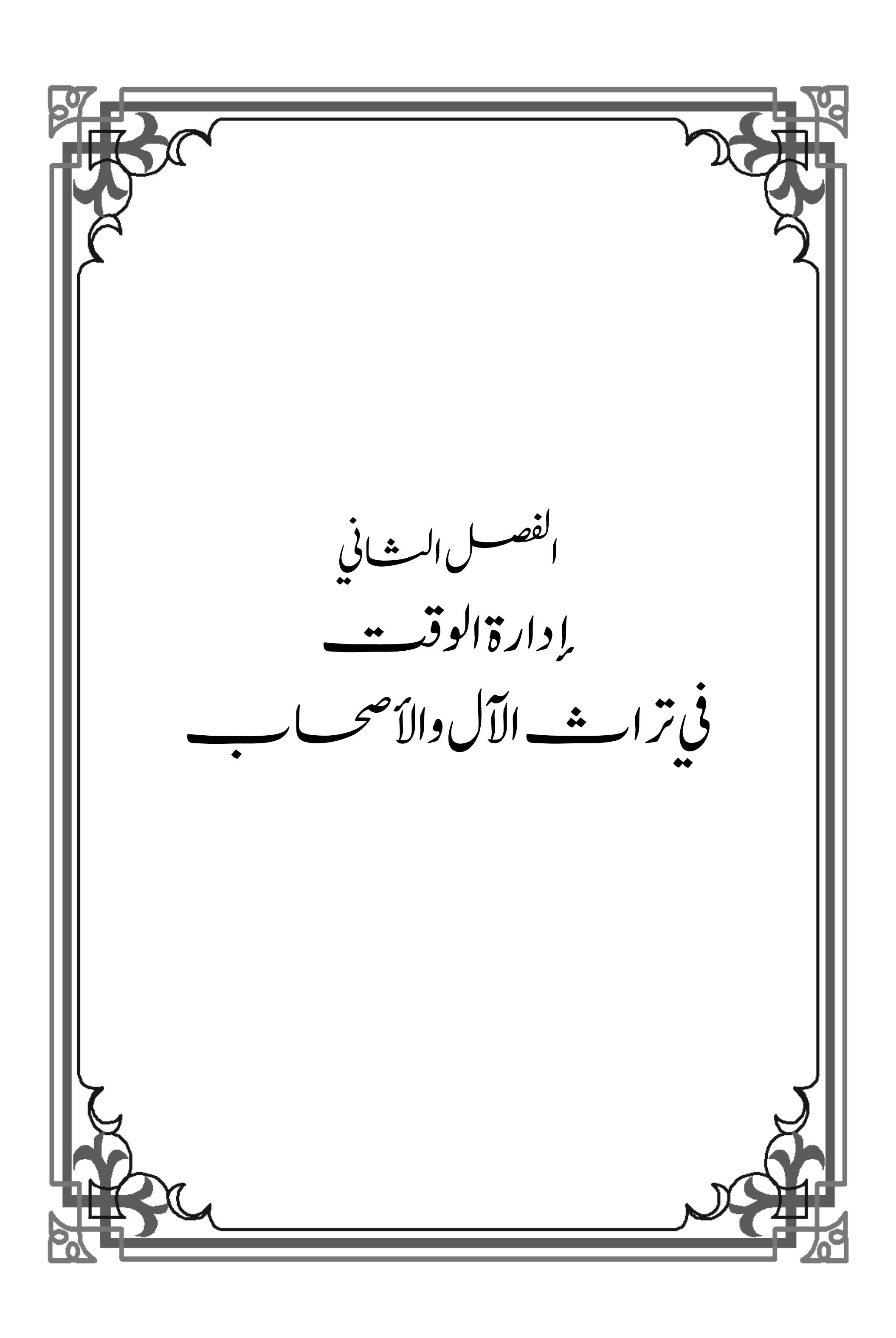
(١) مدارج السالكين (٣/٥٠).



الجوانب، مراعيا اختلاف الأحوال.

ولما كان الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ أفعالهم وطريقتهم نابعة من الإسلام: قرآنًا وسنة، كان ما أثر عنهم من تراثهم في باب إدارة الوقت يسير وفق هذا المنهج الرباني، والسنة النبوية الشريفة، فسنجد أن الوارد عنهم في الباب مندرج تحت هذه المعاني وتلك السمات، كما سنرى فيما يلي إن شاء الله تعالى.





الفصل الثاني

إدارة الوقت

في تراث الآل والأصحاب

الفصل الثاني

إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب



لا شك أن إدارة الوقت من جهة الاصطلاح أمر مستحدث، لكن من جهة حقيقته فهو موجود بقدم الإنسان، إلا أنه تطور بتطور حياته، ولما كان مبناه على استهلاك الوقت في الأنفع فضلا عن النافع، وحسن توزيعه على المهام المختلفة، والاحتياجات المتنوعة، كان تطبيقه بحاجة إلى علم بذاك النافع والأنفع، وحكمة في التطبيق، وعزيمة على المواصلة على هذا النمط، وما من شك أن أولى من توفرت فيه هذه الصفات من نعم بصحبة سيد ولد آدم ـ ﷺ ـ وآل بيته الكرام.

وسوف نعرض لشيء من الوارد عنهم في الباب، بحسب المباحث المعاصرة في فن إدارة الوقت.





المبحث الأول

أهمية الوقت عند الآل والأصحاب، ونظرتهم إليه



فهذا الحسن البصري - رحمه الله - يحكي عمّن رآه من الصحابة(١)، وعن حرصهم الشديد على الوقت، حتى يصل بهم في الوصف في إنفاق الوقت بالشح، وأنهم كانوا أحرص على أوقاتهم من غيرهم على ماله درهمه وديناره.

فقد كان القوم أحرص ما يكونون على وقتهم، لا يبذلونها بسخاء إلا فيما ينفع، قال الحسن: أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه وديناره(٢).

وكانوا كذلك ينظرون للوقت على أنه وقت الزرع، الذي يتبعه وقت الحصاد، وذلك ترغيبا للعمل والاجتهاد فيه؛ ابتغاء تحصيل أفضل الثمار.

(١) وقد لقي الحسن بن أبي الحسن البصري عدداً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحت روايته عن بعضهم، وذكر المزي في ترجمته أنه كان ابن أربعة عشرة سنة يوم الدار. انظر: تهذيب الكمال، ترجمة الحسن بن أبي الحسن (٦/٩٥).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (صـ٤)، وابن أبي الدنيا في العمر والشيب (٩١)، وفي إسناده مجهول.



فعن عبد الرحمن بن حجيرة، عن أبيه، قال: كان عبد الله بن مسعود إذا قعد يقول: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع(١).

وذلك لعلمهم أن الوقت بضاعتهم في الدنيا، وأن سعيهم في هذه الحياة الدنيا ما هو إلا سبب للفوز العظيم، فتعاملوا مع الوقت على هذا الأساس، وزاد حرصهم عليه.

لذا فقد ندموا على ضياعه أشد الندم، فقد روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه؛ نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي(٢).

فهم من تعلموا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعملوا لآخر ساعة من أعمارهم، حين قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»(٣).

لذا كانوا يمقتون الرجل إذا كان مضيعا وقته وعمره بلا نفع؛ لا هو

(١) رواه أبو داود في الزهد (١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٣).

(٢) لم أقف عليه مسندا، وإنما هو موجود في بعض الكتب المتأخرة، وانظر: موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/٣٠) لعبد العزيز السلمان، وقيمة الزمان عند العلماء لأبي غدة (صـ٢٧)، وغيرها.

(٣) صحيح رواه أحمد وغيره عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، وسبق الكلام عليه.

في عمل من أعمال الدنيا ولا أعمال الآخرة، فعن عمر - رضي الله عنه - قال: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا؛ لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة[1].

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا؛ ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة[2].

ولما كان الوقت ثمينا عندهم، فقد حرصوا عليه أشد الحرص، وتنوعت الصور في تقديرهم له.

ومن تلك الصور:

۞ الوقت محل للتسابق والمنافسة في الخيرات:

فكان الوقت بالنسبة لهم كحلقة سباق، يتسابقون فيها إلى بلوغ الغاية، ويتنافسون في الخيرات في هذا المضمار، عملا بقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

فعن أبي عبد الرحمن، قال: قام حذيفة بالمدائن فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]: ألا إن الساعة

---

(١) قال الزيعلي: غريب. تخريج أحاديث الكشاف (٤/٢٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٦٢)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٠)، وأبو داود في الزهد (١٧٤)، وإسناده منقطع.



قد اقتربت، وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد أذنت بالفراق، ألا وإن المضمار اليوم، وإن السباق غدا، وإن الغاية النار، وإن السابق من سبق إلى الجنة[١].

۞ مراعاة الدقة في المواعيد:

عظّم الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ شأن الوقت، واهتموا بمراعاة الدقة في المواعيد، كما أمروا بذلك من خلال مراعاة هذه الدقة في إقامة شعائر الإسلام.

ومن ذلك حرصهم الشديد على أن تكون شعيرة الصلاة على وقتها، ولم يسمحوا بالتهاون في ذلك، ولو بقدر يسير.

فعن عن إبراهيم النخعي قال: كانوا إذا أذن المؤذن بليل أتوه فقالوا: اتق الله، وأعد أذانك[٢]، وهذا تصديقا لما جاءت به السنة المشرفة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، قال: ما كان بينهما إلا أن ينزل هذا، ويرقى هذا[٣].

ومع أن الفارق قليل بحيث أنه ما بين الأذانين إلا أن ينزل هذا،

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧٩٨).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٨٨٩).

(٣) رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢).



ويصعد ذاك، إلا أن الدقة في الميعاد اقتضت مراعاة مثل هذا الفارق لأهمية التوقيت.

وكانوا أيضا يوصون بمثل هذه الدقة في المواعيد، ويكتب بها الخليفة إلى الأمصار، يوصي بذلك عماله، فتصير تلك الدقة نظاما عاما تسير عليه الدولة وعموم الناس، فعَنِ ابن عمر قال: كتب عمر إلى أهل الأمصار: (أن صلوا الظهر إذا زالت الشمس إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، والعصر والشمس باقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب حين تغرب الشمس وتدخل الليل، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، لا تشاغلوا عن الصلاة، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه)[١].

وفي لفظ عن نافع، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: (إن أهم أموركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لسواها أضيع.

ثم كتب: أن صلوا الظهر إذا كان الفيء ذراعا إلى أن يكون ظل أحدكم مثله، والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، والصبح والنجوم بادية مشتبكة)[٢].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٠٣٧).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٣٨).

ورواه أيضا برقم (٢٠٣٩) عن نافع عن ابن عمر مثله.

وكان ذلك منهجا مطَّرداً عند جميعهم، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - أيضا قال: (إذا زالت الشمس عن بطن السماء، فصلاة الظهر دركا حتى يحضر العصر، وصلاة العصر دركا حتى يذهب الشفق، فما بعد ذلك إفراط، وصلاة العشاء درك، حتى نصف الليل، فما بعد ذلك إفراط، وصلاة الفجر درك، حتى تطلع قرن الشمس، فما بعد ذلك فهو إفراط)[1].

وقد أسس عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - هذه الدقة على ما تعلمه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، أنه قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن وقت الصلوات، فقال: «وقت صلاة الفجر ما لم يطلع قرن الشمس الأول، ووقت صلاة الظهر إذا زالت الشمس عن بطن السماء، ما لم يحضر العصر، ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس، ويسقط قرنها الأول، ووقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس، ما لم يسقط الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل»[2].

وعن قتادة، أن ابن مسعود قَالَ: «إن للصلاة وقتا كوقت الحج»[3].

ولم تكن تلك الدقة في المواعيد قاصرة على أمر الصلاة فحسب، فقد أدرك القوم حساب ساعات اليوم والليلة، ورتبوا أمورهم بدقة وفقًا لذلك.

(١) رواه عبد الرزاق (٢٢١٥).

(٢) رواه مسلم (٦١٢).

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٧٤٧).



۞ مرور الوقت في الحقيقة نقصان من العمر واستهلاك له:

وكانوا يعلمون أن مرور الوقت هو في الحقيقة نقصان من عمر الإنسان، وأن نقصان يوم من عمره هو نقصان من بعضه.

قال أبو الدرداء: «ابن آدم طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك»(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبته: (اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه)(٢).

فلما نظروا لمرور الوقت على أنه استهلاك للعمر، كانوا أحرص ما يكونون عليه.

فهذا عمر - رضي الله عنه - يحث على العمل، ويأمر بترك اتباع الهوى، حرصا منه على العمر، وتحذيرا من ضياعه، فعن أبي هريرة، قال: كان عمر بن الخطاب إذا خطب الناس يقول في خطبته: (أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب، ليس في ما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور، وما فجور عبد خلق

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كلام الليالي والأيام (٢٤)، والزهد (٤٢٦)، عن قتادة عن أبي الدرداء، وإسناده منقطع، فإن قتادة لم يلق أبا الدرداء - رضي الله عنه -.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٣١)، والخراج لأبي يوسف (٢٢/١)، والزهد لهناد (٤٩٥)، والطبري في تاريخه (٢٢٤/٣)، والبيهقي في الشعب (١٠١١٠).



من تراب، وإلى التراب يعود، وهو اليوم حي، وغدا ميت؟ اعملوا يوما بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى)[١].

۞ بذل الوقت في الغالي والنفيس:

ولما علموا قيمة الوقت، وأنه هو الحياة، وعظمت عندهم قيمته فلم يرضوا إلا أن يبذل في الغالي والنفيس.

قال محمد بن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر[٢].

وقال ابن الحنفية أيضا: إن الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها[٣].

۞ التحفيز على عدم إضاعة الوقت:

وكانوا حريصين على التوجيه والإرشاد والتحفيز على عدم إضاعة الأوقات، واستغلالها أفضل استغلال.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون،

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٤٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٦/٣).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١٧٦/٣).

وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا، محزونا، حليما، سكيتا، لينا. ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا، ولا غافلا، ولا سخابا، ولا صياحا، ولا حديدا)[1].

وقال علي رضي الله عنه: (إن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن سبيل الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل)[2].

۞ محاسبة النفس مخافة ضياع الوقت في غير نفع:

وكانوا يأمرون أنفسهم وإخوانه بمحاسبة النفس، تشديدا على الحرص على الخير، وعدم إضاعة العمر في غير نفع.

عن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥٨٤)، وأبو داود في الزهد (١٧٣)، وأبو إسحاق الفزاري في السيرة (٤٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٢٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٥٥)، ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (٨٨١)، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل (٤٩)، والبلاذري (٢/١١٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/٧٦)، والبيهقي في الشعب (١٠١٣٠).



تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨])[(١)].

وعن عمر - رضي الله عنه - أيضا قال وهو يخطب الناس: «تعلمن أن الطمع فقر حاضر، وأن اليأس غنى حاضر، ومن أيس عن شيء استغنى عنه»[(٢)].

ومن المواعظ البليغة في الحفاظ على العمر، واستغلال الأوقات في الطاعة قبل فوات الأوان ما ذكره الطبراني في الكبير عن أبي بكر - رضي الله عنه -، فقد روى عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر: (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله تعالى فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله - عز وجل -، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم أن تكونوا أمثالهم، ولا تكونوا كالذين نسوا الله، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وحلوا

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٠٦)، ابن أبي شيبة (٣٤٤٥٩)، وأبو عبيد في الخطب والمواعظ (١٤٤)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٢).
قال ابن كثير ــ بعد ذكره هذا الأثر ــ: (أثر مشهور، وفيه انقطاع). اهـ مسند الفاروق (٢/٦١٨).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٩٩٨)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/٧٦٧)، وابن المقرئ في معجمه (٢٤١)، وأبو نعيم في الحلية (١/٥٠)، من طرق عن هشام بن عروة، عن عروة به - رضي الله عنه - وألفاظه متقاربة، وعزاه أيضا لابن وهب من طريق هشام بنحو هذا اللفظ أيضا.
ورواه وابن وهب في جامعه (٤١٨) من طرق آخر بلفظ: «إن اليأس غنى، وإن الطمع فقر حاضر، وإن العزلة راحة من خلاط السوء».
قال ابن كثير ــ بعد ذكره هذا الأثر ــ: (أثر مشهور، وفيه انقطاع). اهـ مسند الفاروق (٢/٦١٨).



فيه بالشقوة والسعادة، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحفوها بالحوائط قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله ـ ﷻ ـ لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واتضحوا بشأنه وبيانه، إن الله ـ ﷻ ـ أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن لا يغلب حلمه جهله، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم)[١].

۞ حساب الوقت وساعات الليل والنهار:

وكانوا يعرفون حساب الوقت، وتقسيمه إلى عدد مضبوط من الساعات، فعن عبد الله بن سلام قال: «النهار اثنتا عشرة ساعة، والساعة التي يذكر فيها من يوم الجمعة ما يذكر آخر ساعات النهار»[٢].



---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٩)، وفي إسناده من لم أقف على ترجمته.
قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير، ونعيم بن محة لم أجد من ترجمه). مجمع الزوائد (٣١٥٢).

(٢) رواه عبد الرزاق (٥٥٧٩).



المبحث الثاني

استثمار الوقت وعدم إضاعته



كان صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وآل بيته الأطهار ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ أحرص الناس على استثمار أوقاتهم في كل نافع، وكانوا أحرص الناس وأشدهم تمسكا بذلك، فعلموا وعملوا من أمور الدين والدنيا ما يثير الإعجاب والانبهار بأعمالهم واستغلال أوقاتهم.

ولاستثمار الوقت عندهم صور عدة، منها:

۞ الاستفادة من الوقت بعمل الخيرات على كل حال:

فمن ذلك قراءتهم للقرآن وذكر الله تعالى على كل حال، في حال الوضوء بالأصالة، وعلى غير وضوء، فعن ابن المسيب يقول: ربما سمعت أبا هريرة يقرأ؛ يحدر السورة، وإنه لغير متوضئ[1].

عن ابن سيرين قال: خرج عمر بن الخطاب من الخلاء فقرأ آية ـ أو آيات ـ، قال له أبو مريم الحنفي: أخرجت من الخلاء وأنت تقرأ؟

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٣١٧).



قال له عمر: أمسيلمة أفتاك بهذا؟! وكان مع مسيلمة[١].

وعن الحسين بن علي، عن علي - رضي الله عنهما - قال: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال[٢].

وعن علي قال: اقرأ القرآن على كل حال ما لم تكن جنبا[٣].

وهذه - عائشة - رضي الله عنها - تقرأ القرآن مضطجعة، فعن الأسود قال: قالت عائشة: إني لأقرأ جزئي - أو قالت حزبي -، وإني لمضطجعة على السرير[٤].

وعن فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب: أنها كانت تسبح بخيوط معقود فيها[٥].

۞ الأمر بالمحافظة على الوقت، والنهي عن إضاعته:

وكان عمر - رضي الله عنه - من حرصه على استفادة الرعية بأوقاتهم أن

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٣١٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٩١/٧)، ولكنه قال: عن محمد بن سيرين، عن أبي مريم الحنفي أن عمر.. فذكره.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨٥/١).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٣٢١)، وابن أبي شيبة (١١١٣)، كلاهما من رواية الحارث الأعور عن علي - رضي الله عنه -، وهو ضعيف، انظر: التقريب (١٠٢٩).

(٤) رواه عبد الرزاق (١٣٢٢)، وابن أبي شيبة (٨٥٧١).

(٥) رواه ابن سعد (٤٧٤/٨)، والسند فيه امرأة مبهمة.

يدفعهم لذلك دفعا، فعن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: كان عمر بن الخطاب يعس[١] المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحدا إلا أخرجه، إلا رجلا قائما يصلي، فمر بنفر من أصحاب رسول الله - ﷺ - فيهم أبي بن كعب، فقال: من هؤلاء؟، قال أبي: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟، قال: جلسنا نذكر الله، قال: فجلس معهم، ثم قال لأدناهم إليه: خذ، قال: فدعا فاستقرأهم رجلا رجلا يدعون، حتى انتهى إليّ، وأنا إلى جنبه، فقال: هات، فحصرت[٢] وأخذني من الرعدة أفكل[٣]، حتى جعل يجد مس ذلك مني، فقال: ولو أن تقول: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا..[٤].

(١) قال الخليل: (العَسُّ: نفضُ الليل عن أهل الريبة). اهـ العين (٧٤/١).
وقال ابن دريد: (العَسُّ: طلب الشيء بالليل). اهـ جمهرة اللغة (١٣٣/١).
وقال الجوهري أيضا: (عسَّ يعُسُّ عَسًّا وعَسَساً، أي طاف بالليل، وهو نَفضُ الليلِ عن أهل الرِيبة). اهـ الصحاح (٩٤٩/٣).

(٢) قال ابن منظور: (حَصِرَ لم يقدر على الكلام. وحصر صدره: ضاق. والحصر: ضيق الصدر. وإذا ضاق المرء عن أمر قيل: حصر صدر المرء عن أهله). اهـ لسان العرب (١٩٣/٤).

(٣) قال ابن منظور: (يقال: أخذ فلانا أَفْكَل، إذا أخذته رعدة فارتعد من برد أو خوف). اهـ لسان العرب (٥٣٠/١١).

(٤) رواه ابن سعد (٢٩٤/٣)، ومن طريقه رواه البلاذري (٣٤٨/١٠)، وابن عساكر (٣٠٩/٤٤).
وأبو سعيد مولى أبي أسيد، قال الحافظ ابن حجر: (ذكره ابن مندة في الصحابة، ولم يذكر ما يدل على صحبته، لكن ثبت أنه أدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه). اهـ الإصابة (١٦٨/٧).

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن عمر كان إذا خرج إلى ناد في المسجد، قال: إياكم واللغط[1].

فعمر ـ رضي الله عنه ـ يخرجهم من المسجد حتى لا تضيع أوقات الناس في القيل والقال بلا نفع، ويمنعهم من اللغط، وإنما يأمرهم بالذهاب لمصالحهم، أو لراحة أبدانهم، ما لم يكن عملا صالحا يشغلهم.

ونحو ذلك صنع ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، فعن أبي عمرو الشيباني، قال: رأيت عبد الله بن مسعود، يعس المسجد بالليل فلا يرى فيه سوادا إلا أخره إلا رجلا قائما يصلي[2].

وكذلك كان يفعل أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ في حث الناس على حسن استغلال الوقت، قال الثوري: كان أبو ذر رضي الله عنه، يقول: إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، صوموا لحر يوم النشور، تصدقوا مخافة يوم عسير، وقال: يكفي الدعاء مع البر ما يكفي الملح من الطعام[3].

۞ الحث على سرعة القراءة مع الإتقان اختصارًا للأوقات والحفاظ عليها:

قد بلغ بهم شدة الحرص على الوقت مبلغا عظيما، حتى استحبوا

(١) رواه عبد الرزاق (١٧١٣)، وابن أبي شيبة (٧٩٠٨)، وابن شبة (١/٣٤).
(٢) رواه عبد الرزاق (١٦٥٤)، وابن أبي شيبة (٤٩٢٠)، والطبراني في الكبير (٩٥٥٩).
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٦٥)، عن الثوري قال: قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ، وهو منقطع.



السرعة في القراءة، على غرار ما ينظِّر له المهتمون بهذا الشأن من المعاصرين.

فقد روي أن ابن عباس حثَّ على سرعة القراءة لرسالة وصلته، فعن سعيد بن جبير: أن امرأة من أهل الكوفة كتبت إلى ابن عباس بكتاب فدفعه إلى ابنه ليقرأه، فتعتع فيه، فدفعه إليّ فقرأته، فقال ابن عباس: (أما لو هذرمته[1] كما هذرمها الغلام المصري)[2].

❁ بغضهم إضاعة الوقت، أو استحقار شيء من الأعمال:

فإن كان الأمر كذلك في الاهتمام بالوقت، والحرص على استغلاله على أكمل وجه، فقد جاء عنهم في المقابل ما يفيد بغضهم إضاعة الوقت، أو استحقار شيء من العمل، أو التقليل من شأنه، لأن الحساب سيكون بمثقال الذرة.

عن ابن مسعود من قوله: (إني لأكره الرجل فارغا لا في عمل الدنيا، ولا في الآخرة)[3].

---

(١) قال الخليل: (الهَذْرَمَةُ: السرعة في القراءة). اهـ العين (٤/١٢٧).

(٢) رواه عبد الرزاق (١١٧٣).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٧٤١)، وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٤٦) لسعيد ابن منصور، ولم أقف عليه في المطبوع منه، ومن طريق سعيد رواه الطبراني في الكبير (٨٥٣٨، ٨٥٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٠)، ورواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٦٢)، ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٠).
قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير، وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات). اهـ مجمع الزوائد (٤/٦٣). =

وقد روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ نحو هذا، المعنى ـ ولكنه غير ثابت عنه ـ، بلفظ: (إني لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْللا، لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة)[1].

وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال: (لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا، فقلت وما هن؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار؛ تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة. وتمام التقوى أن يتقي الله العبد، حتى يتقيه في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، حاجزا بينه وبين الحرام، إن الله تعالى قد بين للعباد الذي هو مصيرهم إليه، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله)[2].

= قلت: رواه الطبراني في الكبير من طريقين، في أحدهما راو لم يسم، وفي الآخر انقطاع.

(١) ولا يثبت عن عمر ـ رضي الله عنه ـ، بل لعله لا إسناد له عنه، فقد ذكره الزيلعي من كلام عمر، ثم قال: (لم أجده إلا من قول ابن مسعود). اهـ تخرج أحاديث الكشاف (٢/٣٥٣). وذكره أيضا في (٤/٢٣٦)، وقال: (غريب).

(٢) رواه ابن بشران (جزء فيه مجلسان من أمالي ابن بشران) (٩)، قال: عن خالد الحجري، قال أبو الدرداء، ـ كذا جاء في المطبوع، وعلق المحقق أنه كذا في الأصل، وأشار لما جاء في الروايات الأخرى ـ، وابن البخاري في مشيخته (٩٣٧)، قال: عن أبي خليد الحجري، عن أبي الدرداء، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٢)، قال: عن عباس بن جليد الحجري، عن أبي الدرداء، ولفظه مختصر، ورواه ابن عساكر=



۞ عدم الاكتفاء بالأقوال الجوفاء التي لا عمل يصدقها:

وكانوا يهتمون بالعمل، ويعجبهم ذلك، ولا يعجبهم الاكتفاء بمجرد القول، الذي هو ضياع أجوف للوقت والعمر.

فعن القاسم بن محمد، قال: «أدركت أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وهم يعجبهم الفعل، ولا يعجبهم القول، وإنا اليوم يعجبنا القول ولا يعجبنا الفعل، يعني العمل»(١).

= (١٦٠/٤٧) كما في مشيخة ابن البخاري، وفي (١٦١/٤٧)، قال: عن خالد الحجري عن أبي الدرداء، وذكره إسماعيل الأصبهاني في سير السلف الصالحين (صـ٥٦٠ ـ ٥٦١).

ورواه ابن المبارك في الزهد (١٩/٢) بلفظ آخر: عن عباس بن جليد قال: قال أبو الدرداء: (تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام، فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه قال الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله).

والذي يظهر لي في الاختلاف في الراوي عن أبي الدرداء أنه خطأ في النسخ، مع عدم شهرته، فإنهم رووه جميعا من طريق سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن الوليد عنه عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ، والذي يترجح لي أن الراوي المقصود هنا هو: خيار بن العباس بن جليد الحجريّ، فهو المحتمل من جهة الطبقة، والاسم، مع عدم شهرته، فقد ذكره ابن يونس في تاريخه، وقال: (روى عن أبيه، ودخل مع أبيه على عبد الله بن الحارث بن جزء، روى عنه عبد الرحمن بن أوس المصري، ولا أعلم روى عنه غيره). اهـ تاريخ ابن يونس المصري (١٥٧/١).

(١) رواه أبو داود في الزهد (٤٢٣)، بلفظ: (أدركت الناس..)، وابن بشران في أماليه=



۞ الإلمام بشؤون الحياة المختلفة والمشاركة فيها:

ومع ما قاموا به من أعمال عظام في حياتهم، ومع انشغالهم تجد الواحد منهم مع انشغاله بالأمور العظام إلا أنه له باع أيضا في مساعدة أهله في أمور البيت.

فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ مع انشغاله بشؤون الخلافة، إلا أنك تراه مع ما كان على عاتقه من المهام، وما عرف عنه من اهتمامه بشؤون الرعية إلا أنه لم يكن ذلك هو الشيء والوحيد الذي يعلمه أو يعمله، فقد كان على دراية بشؤون الحياة اليومية والأعمال المنزلية العادية التي أثارت إعجاب معاصريه ورعيته، فكان على علم بأمور الطعام وإعداده، إلا أنه ترك ذلك طلبا للأجر، وإنفاقا للوقت فيما هو أنفع.

فعن حفص بن أبي العاصي، قال: (كنا نتغدى عند عمر بن الخطاب بخبز جشب[1]، وكان ينهى الناس أن ينخلوا الدقيق، ويقول: هو طعام، فنتغدا ثريدا بلبن، أو ثريدا بلحم غليظ، فلا يأكل القوم. فقلت: يا أمير المؤمنين إنهم يرجعون إلى طعام هو ألين منه. فقال: أو ما كنت تراني أحسن أعمد إلى صاع أو صاعي زبيب فيرش عليه من الماء

= ـ الجزء الأول ـ (٨٨٠)، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٥)، من رواية مالك: بلغنا أن القاسم...

(١) قال الخليل: (طعام جَشِبٌ: لا أدم فيه، ورجل جشب المأكل، وقد جشب جشوبة؛ أي لم يبال ما أكل بغير أدم. ويقال: الجشب ما لم ينخل من الطعام، مثل خبز الشعير وشبهه). اهـ العين (٦/٣٨ ـ ٣٩).

ثم يصفى كأنه دم الغزال، وأعمد إلى صاع أو صاعي دقيق فيحور لي، وأعمد إلى عناق فتذبح ويلقى عنها شعرها، ثم تخرج من التنور كأنه صنا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين إني أراك عالما بطيب الطعام؟ قال: أجل والله الذي لا إله إلا هو، ولكني لا أتعجل طيباتي، وقد سمعت الله ذكر قوما فقال: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠])(١).

فكان ـ رضي الله عنه ـ يترك لين الطعام ادخارا للأجر والثواب عند الله تعالى، وليس جهلا به، بل إنه حتى كان يحسن صنعه، ويجمع الناس على طعام خشن مع انشغاله بأعمال الخلافة، فيتعلموا من فقهه وزهده.



(١) رواه أبو داود في الزهد (٦٩).



المبحث الثالث

تخطيط الوقت وتنظيمه



تخطيط الوقت، وتنظيمه، وتوزيعه على المهام المختلفة من أساسيات إدارة الوقت وأهم لوازمه، وبالنظر في سير الآل والأصحاب تجد أنه أمر معروف ومعمول به عنده؛ إذ يبدو جليا في نظام حياتهم، وعموم سيرتهم، ولعل ذلك كان أقرب لسجيتهم وفطرتهم، فحين تنظر لأحوالهم ترى كأنهم أجادوا تطبيق كل ما كتبه المعاصرون في هذا الباب، وأتقنوه أيما إتقان، بل وزادوا على ما ذكره المعاصرون بشكل تنظيري في صورة مقترحات ونماذج، فترى منهم في ذلك تطبيقا عمليا رائعا بلا فلسفات كلامية، أو تنظيرات بعيدة عن الواقع، وكأن سجيتهم جبلت على ذلك.

فحين ترى الخليفة أو الأمير ـ ومن على شاكلتهم ممن تكاثرت عليهم المشاغل ـ يجد الوقت ليصلح من شأن آحاد رعيته، أو يقوم بأعمال بيته، واحتياجات خاصة أهله، توقن أنهم أتقنوا إدارة الوقت بشكل ربما لا نظير له.

فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو خليفة المسلمين يصلح بنفسه من أحوال



بعض الجند، فعن السائب بن يزيد، قال: رأيت عمر بن الخطاب السنة يصلح أداة الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله، براذعها[١] وأقتابها[٢]، فإذا حمل الرجل على البعير جعل معه أداته[٣].

وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - وهو أمير يومئذ، يذهب يجمع الحطب لبيته وحاجة أهله، ويضاحك رعيته، فعن ثعلبة بن أبي مالك: أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله، يكفي هذا، قال: وسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، والحزمة عليه[٤].

فكيف مع أدائهم لما كلفوا به من إدارة شؤون المسلمين ورعاية مصالح الأمة كانوا يجدون الوقت لمثل هذه الأمور، التي قد يترفع عنها من هم أقل منهم شأنا وانشغالا في يومنا هذا؟ فيا عجبا لما كانوا عليه!! - رضي الله عنهم -.

فلما كانوا على ذلك القدر وتلك القدرة على إدارة أوقاتهم، كان لتخطيط الوقت وتنظيمه عندهم ملامح مميزة، وسنستعرض ذلك من

(١) قال الأزهري: (برذع: الليث: البرذعة: الحلس الذي يلقى تحت الرجل. والجميع البراذع. وقال شمر: هي البرذعة والبردعة بالذال والدال). تهذيب اللغة (٣/٢٣٠).

(٢) قال الخليل: (القتب: إكاف الجمل، والتذكير فيه أعم من التأنيث..، والقتب: قتب صغير على البعير..، وأقتبت البعير: شددت عليه القتب). العين (٥/١٣١) مختصرا.

(٣) رواه ابن سعد (٣/٣٠٦)، وفي إسناده الواقدي.

(٤) رواه أبو داود في الزهد (٢٨٤).



خلال الجوانب التي ذكرها المعاصرون في مسائل إدارة الوقت.

إن توزيع الوقت بين الأعمال، أو تقسيم وأقات النهار، وأوقات الليل إلى أجزاء مناسبة لما تعلق بها من مهمات، والتعاون في والتعاون وتقسيم الأعمال بين الأفراد المشتركة في جانب من الجوانب، أو تفريغ الطاقة للمهام العظام، ونحو ذلك من المسائل المتعلقة بتخطيط الوقت وتنظيمه، كان لكل ذلك صور رائعة، في سير الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ومن ذلك:

۞ تقسيم الوقت:

لا شك أن تقسيم الوقت يبدو للوهلة الأولى من أساسيات تخطيط الوقت وتنظيمه، إذ ربما لا يمكننا تنظيم الوقت من غير تقسيمه، فمن البديهي أن يكون هناك أعمال تناسب الليل، وأخرى للنهار، ووقت النهار نفسه، هناك ما يتناسب مع أوله، وما يتناسب مع آخره، وكذلك وقت الليل، وأعمال تناسب وقت النشاط وحضور الذهن وأخرى تتناسب مع غير ذلك، وهذا ما تراه جليًّا في صنيع الآل والأصحاب ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ، فقد كانوا يحسنون تقسيم الوقت بين صنوف العبادات، والالتزامات الواجبة عليهم.

ومما يشهد لحرصهم على مراعاة تقسيم الوقت، وهو الأمر الذي يقره الشرع والفطرة السليمة: ما أوصى به أبو بكر عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ،



حين أراد استخلافه، حيث قال له: إني موصيك بوصية إن حفظتها: إن لله تعالى حقا بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حقا لا يقبله في النهار، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة(١).

وقد قبل عمر - رضي الله عنه - الوصية، وعمل بها، وصارت ديدنه؛ فكان

---

(١) رواه سعيد بن منصور في التفسير (٩٤٢)، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن سعيد بن المرزبان، عن عبد الرحمن بن سابط به في خبر طويل.
ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦/١)، وفضائل الخلفاء (٢٠٤)، ومعرفة الصحابة (١١٤)، وابن عساكر (٤١٤/٣٠) من طرق عن فطر بن خليفة، كلاهما (سعيد بن المرزبان، وفطر) عن عبد الرحمن بن سابط به.
وسعيد بن المرزبان هو العبسي أبو سعد البقال الكوفي الأعور، ضعيف، مدلس. التقريب (٢٣٨٩)، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه. انظر ميزان الاعتدال (١٥٨/٢).
وفطر هو ابن خليفة قال الذهبي: وثقه أحمد وغيره. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال الدارقطني: لا يحتج به. ميزان الاعتدال (٣٦٣/٣).
وابن سابط ثقة كثير الإرسال، وروايته عن أبي بكر وعمر مرسلة، انظر: جامع التحصيل (٤٢٨)، وتحفة التحصيل (١٩٧).
وقد روي من طريق آخر؛ رواه ابن أبي شيبة (٣٢٠١٣) مختصرا، و(٣٤٤٣٣)، ورجاله ثقات، لكنه منقطع أيضا.
ورواه ابن المبارك في الزهد (٩١٤)، ومن طريقه ابن عساكر (٤١٢/٣٠)، وأبو داود في الزهد (٢٨)، والخلال في السنة (٣٣٧)، وهناد في الزهد (٤٩٦)، ومن طريقه الآجري في الشريعة (١٢٠٢)، ورواه ابن عساكر (٤١٣/٣٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد بن الحارث اليامي به، ورجاله ثقات، لكن زبيد لم يدرك القصة.

فيما روي عنه يجهد نفسه في عمل النهار، ويصنع مثل ذلك في عبادة الليل، فلما يسأل عن ذلك يقول: إن نمت بالنهار أضعت حق الناس، وإن نمت بالليل أضعت حق الله.

وممن روي عنه حسن تقسيم وقته أيضا ابن عباس - رضي الله عنهما -، حيث كان يقسم وقت ليله بين الراحة والعبادة، فعن عبد الله بن أبي مليكة، قال: سافرت مع ابن عباس من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، فكان يقوم شطر الليل[١].

ولما سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن المروءة فكان مفاد الجواب أنها تقسيم أعمال الرجل ـ الذي يتبعه تقسيمه لوقته ـ بين إصلاح ماله، ونفع إخوانه، فهو يصلح شأن نفسه، ويعاون في إصلاح شأن غيره، فعن عن حبان بن أبي جبلة قال: قيل لعمرو بن العاص: ما المروءة؟ فقال: يصلح الرجل ماله ويحسن إلى إخوانه[٢].

التنظيم والتخطيط اليومي للعمل:

لا شك أن من أهم دعائم إدارة الوقت هو: التنظيم والتوزيع للعمل اليوم، حيث يعد ذلك التطبيق الحقيقي لإدارة الوقت، وقد كان للآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ من ذلك الحظ الوافر؛ فإنك تراهم في تنظيمهم للعمل اليومي غاية في الإتقان، وآية في المداومة، وقدوة

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٢٨).

(٢) رواه ابن سعد (٢٦١/٤).



في بذل الجهد في ذلك، وكأنهم يعدون جداول زمنية تقسم فيها أوقات اليوم والليلة بين أمور الدين والدنيا، يسيرون عليها بلا كلل ولا ملل، مراعين حق الله تعالى، وحقوق الغير، بلا نسيان لحظ النفس والبدن.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما -، أنه كان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ حتى يرتفع الضحى ولا يصلي، ثم ينطلق إلى السوق فيقضي حوائجه، ثم يجيء إلى أهله فيبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين، ثم يدخل بيته[1].

وكان للحسن بن علي - رضي الله عنه - نحو هذا النظام اليومي أيضا، فقد روى ابن سعد: أن معاوية - رضي الله عنه - قال لرجل من أهل المدينة من قريش: أخبرني عن الحسن بن علي قال: يا أمير المؤمنين، إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله - ﷺ - رجل له شرف إلا أتاه، فيتحدثون حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين، ثم نهض فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، فربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله، ثم يروح فيصنع مثل ذلك. فقال: ما نحن معه في شيء[2].

وعن أنس بن مالك، قال: كنا نبكر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة[3].

* * *

(١) رواه ابن سعد (٤/ ١٤٧).

(٢) رواه ابن سعد (الطبقات الكبرى ـ متمم الصحابة ـ الطبقة الخامسة) (١/ ٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٩٠٥).



۞ توزيع الوقت بين المهام المختلفة:

من أهم عوامل إدارة الوقت هو توزيع الوقت على المهام المختلفة، مراعاة حق كل مهمة من المهام والتزام من الالتزامات من ذلك الوقت، وقد كان هذا مما تعلمه أصحاب النبي ـ ﷺ ـ منه، فعن حنظلة الأسيدي، قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات(١)، نسينا كثيرا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم

---

(١) قال النووي: (قوله: (عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات) هو بالفاء والسين المهملة. قال الهروي وغيره: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به. أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، والضيعات جمع ضيعة، بالضاد المعجمة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة، وروى الخطابي هذا الحرف (عانسنا) بالنون، قال: ومعناه لاعبنا. ورواه ابن قتيبة بالشين المعجمة، قال: ومعناه عانقنا، والأول هو المعروف وهو أعم) اهـ شرح النووي على مسلم (١٧/٦٦).



وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[١].

فأرشدهما النبي - ﷺ - ومن بعدهم، أن الوقت ينفق في هذه الأمور كلها، وهذا ما كُلف به الإنسان من عبادة ربه ﷻ، وإعمار الأرض، وإصلاح شأن الأهل والأولاد ورعايتهم، والقيام بما هو منوط به من الأعباء والالتزامات.

ونحو هذا ما ذكره أنس - رضي الله عنه - من صنيع عموم أصحاب النبي - ﷺ - حين كانوا يبكرون بالصلاة يوم الجمعة، ويجعلون القيلولة بعدها، بيانا لتقسيم الوقت حسب الحال والأولويات، فعن أنس بن مالك، قال: «كنا نبكر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة»[٢].

ومع الانشغال والقيام بالمهام المختلفة الخاصة، كان هناك قدر من الوقت ينفق في القيام بحوائج الناس، فعن أبي الأسود قال: دخل على الحسن بن علي - رضي الله عنهما - نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعاما، فسلموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: الطعام أيسر من أن يقسم عليه الناس، فإذا دخلتم على رجل منزله، فقرب طعامه، فكلوا من طعامه، ولا تنتظروا أن يقول لكم هلموا، فإنما يوضع الطعام ليؤكل، قال: فتقدم القوم فأكلوا، ثم سألوه حاجتهم، فقضاها لهم[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) رواه البخاري (٩٠٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٤٣٢).

وكان هذا الصنيع من شيمة آل البيت كلهم، فكما يفعل الحسن، يفعل الحسين وعائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، فعن حِبَال بن رُفَيْدَة، قال: أتيت الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ فقال: ما حاجتك؟ فقلت: سائل، فقال: إن كنت تسأل في دم موجع، أو غرم مفظع، أو فقر مدقع، فقد وجب حقك، وإلا فلا حق لك، فقلت: إني سائل في إحداهن، فأمر لي بخمسمائة.

ثم أتيت الحسين بن علي رضي الله عنه فاستقبلني بمثل ما استقبلني، ثم أمر لي بمثل ذلك.

ثم أتيت عائشة رضي الله عنها فاستقبلتني بمثل ما استقبلاني به، ثم أعطتني دون ما أعطياني[1].

۞ التعاون وتقسيم العمل وتكليف الغير ببعض المهام لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة من الوقت:

ولما كان الوقت محدودا، وكانت الهمة العالية تقتضي القيام بأعمال كثيرة، ربما لا يتسع لها الوقت المتاح، استوجب ذلك أحيانا توزيع بعض الأعمال وتكليف الغير بيها، كنوع من تقسيم العمل الممكن؛ لاستدراك أكبر قدر من النفع، وتحصيل أكبر قدر من العمل، وقد عرف أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل بيته الأطهار ذلك أيضا، فكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يتناوب مع

(١) رواه الطبري في تهذيب الآثار ـ مسند عمر ـ (٩٩) بهذا اللفظ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٤٥٥) بنحوه، ولم يذكر عائشة ـ رضي الله عنها ـ.



أحد الأنصار الذهاب عند رسول الله، كل واحد منهما يذهب يوما، ويخبر صاحبه بما كان من شأن رسول الله ـ ﷺ ـ في ذلك اليوم، ويقوم صاحبه بصلاح شأن نفسه في ذلك، ثم يتبادلان الأدوار في اليوم التالي، فعن عبد الله بن عباس، عن عمر، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فضرب بابي ضربا شديدا..[(١)].

وكان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يتناوب مع أهل بيته بين الصلاة والنوم، يقوم أحدهم، وينام البقية، ثم إذا انهى حظه من القيام، أيقظ من جاءت نوبته، ونام هو، فعن أبي عثمان النهدي، قال: كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل، وامرأته ثلث الليل، وابنه ثلث الليل[(٢)].

وحتى في نساء آل البيت ـ عليهن السلام ـ عرف هذا التقسيم والتوزيع للأعمال؛ حتى في أمور البيت خدمته، فعن أبي البختري، قال: قال علي لأمه: اكفي فاطمة الخدمة خارجا، وتكفيك العمل في البيت، والعجن والخبز والطحن[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٨٩)، ونحوه عند مسلم (١٤٧٩).

(٢) رواه أحمد في الزهد (٩٨٨)، وأبو داود في الزهد (٢٨٥).

(٣) ذكره الذهبي بسند رجاله ثقات، ولم يذكر من أخرجه في موطنين من كتابه سير أعلام=



وهكذا يمكن تقسيم العمل وتوزيع الأدوار، ليستطيع كل إنسان يحصل أكبر قدر من النفع بوقته المتاح له.

۞ تحديد الأولويات وتقديم الأَوْلى فالأَوْلى:

لا شك أن البدء بالأولى فالأولى من أولويات تخطيط الوقت ـ وهو مما يقال عنه أيضا فقه الأولويات، أو واجب الوقت، وذلك من دعائم إدارة الوقت والتخطيط الناجح له.

وقد أقر النبي ـ ﷺ ـ بعض أصحابه على قوله أنه سيكتفي بالواجبات، إرشادا لكون الإنسان إن قام بما هو واجب عليه ولم يزد على ذلك، فإن ذلك يعد من علامات الفلاح والنجاح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيا أتى النبي ﷺ، فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا»[1]. وفي لفظ حديث طلحة بن عبيد الله أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أفلح إن صدق»[2].

= النبلاء (الراشدون/٥٢) في سيرة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، (١٢٥/٢)، في سيرة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله ـ ﷺ ـ، وذكره أيضا بنفس السياق في تاريخ الإسلام (٢٩/٢)، في ذكر وفاة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ.

(١) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١). =

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن مسعود من نصيحة النبي ـ ﷺ ـ له حين سأله عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال: سألت النبي ـ ﷺ ـ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني(1). ففي ذلك إشارة لمراعاة الأولويات في ترتيب الأعمال، فإذا جاء وقت الصلاة مثلا قدمت الصلاة على غيرها.

وكان من فقه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه يقدم صلاة الليل على الدعاء والاستغفار في أول وقت قيامه، ويقدم الاستغفار على الصلاة في وقت السحر، إذ لكل وقت ما هو أولى به من العمل، قال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنه، يحيي الليل صلاة، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد فيستغفر، ويدعو حتى يصبح(2).

وكانت النصيحة تأتي بإنفاق الوقت في الأولى من الأعمال والأكثر نفعا للفرد والمجتمع، فعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي

= وقد رواه مسلم أيضا من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: عن جابر، أن رجلا سأل رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أأدخل الجنة؟ قال: «نعم»، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئا. مسلم (١٥).

(١) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣٠٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٠٤)، والشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (٩٢٨)، وابن عساكر (٣١/١٢٨).



بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد[1].

ومن فقه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في ذلك أيضا ما ذكره الأصبهاني، قال: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عليك بالفرائض، وما وظف الله عليك من حقه، فأده واستعن بالله على ذلك، فإنه لا يعلم من عبد صدق نيته وحرصا في حسن ثوابه إلا أخره الله عما يكره، وهو المليك يصنع ما يشاء[2].

ومن ذلك أيضا ما ذكره الذهبي في السير عن إرسال أبي بكر جيش أسامة، وأنه بدأ بهذا الأمر في خلافته قبل غيره لأنه شيء أمر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يموت، فبدأ به قبل غيره لأولويته على غيره، فكانت البداءة بالأولى والأهم من الأعمال من فقههم وديدنهم رضي الله عنهم أجمعين[3].



(١) ذكره إسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السلف الصالحين (صـ٩١٤).

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٤٨٨).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون/٣١ وما بعدها).

المبحث الرابع

اختيار الوقت المناسب للعمل مع مراعاة اختلاف الأحوال



من المسلمات أن أحوال الناس تختلف باختلافهم، فكان من حسن الفهم أن يختار كل منهم ما يناسبه، ويتناسب مع أحواله، يراعي هذا في سنته وهديه ـ ﷺ ـ، لعلمه أن المسلمين يقتدون به، وأن أحوالهم تختلف باختلافهم.

فكان ـ ﷺ ـ يوتر أحيانا أول الليل، وأحيانا في آخره، فعن عائشة، قالت: «من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، فانتهى وتره إلى السحر»[1]، وهذا التنوع ييسر على المسلمين عبادتهم، فمن كان أنسب لحاله أن يوتر في أول الليل فقد وافق من سنته ـ ﷺ ـ، ومن كان عنده العزم للوتر في آخره، فقد وافق من سنته ـ ﷺ ـ أيضا.

وكان هذا التنوع واختلاف الأحوال موجود في الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ، فكان أحوال بعضهم تختلف عن الآخر؛ فعلى سبيل المثال:

كان النبي ـ ﷺ ـ يرشد البعض بالحفاظ على قيام الليل، أو بأفضل

(١) رواه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

القيام قيام ثلث الليل، كما هو الحال مع أبي هريرة، وأبي الدرداء - رضي الله عنهما - أمرهما بالوتر قبل النوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»[1].

وعن أبي الدرداء، قال: أوصاني حبيبي - ﷺ - بثلاث، لن أدعهن ما عشت: «بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر»[2].

وكان الحال مختلفًا مع عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فنهاه عن ترك قيام الليل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[3].

وأرشده - ﷺ - لأفضل القيام، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال لي رسول الله - ﷺ -: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه»[4].

ونحو هذا ما روي عنه - ﷺ - أنه سأل أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - كل

(١) رواه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).
(٢) رواه مسلم (٧٢٢).
(٣) رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).
(٤) رواه البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٥٩).

واحد منهما: متى توتر؟، واختلف الجواب، فأقر كل واحد على فعله، فعن أبي قتادة، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «متى توتر؟»، قال: أوتر من أول الليل، وقال لعمر: «متى توتر؟»، قال: آخر الليل، فقال لأبي بكر: «أخذ هذا بالحزم»، وقال لعمر: «أخذ هذا بالقوة»[1].

وأحيانًا كان ـ ﷺ ـ يأمر بعض الصحابة بالشيء، وينهى عنه غيره ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ مراعاةً للحال، فعن أبي ذر، أن رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم»[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٣٤)، والحاكم (١١٢٠).
قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح). اهـ. وقال الذهبي: (على شرط مسلم) اهـ المستدرك (١/٤٤٢).
وصححه الألباني، قال: (إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال الحاكم، ووافقه الذهبي). اهـ صحيح أبي داود (١٢٨٨).
قلت: وروواه ابن خزيمة في صحيحه (١٠٨٤)، ثم قال: (هذا عند أصحابنا عن حماد مرسل، ليس فيه أبو قتادة). اهـ صحيح ابن خزيمة (٢/١٤٥).
ورواه أحمد ـ (١٤٣٢٣)، وعبد ابن حميد في المنتخب (١٠٣٢)، كلاهما من حديث جابر ـ رضي الله عنه، وقال العدوي في التعليق عليه: (صحيح لشواهده) المنتخب (٢/١٤٢)، وقال شعيب الأرنؤط: (أخرجه أبو داود (١٤٣٤) من حديث أبي قتادة، وابن ماجه (١٢٠٢)، وابن حبان (٢٤٤٦) من حديث ابن عمر، وأحمد، وابن ماجه (١٢٠٢) من حديث جابر، وهو حديث حسن). اهـ مسند أحمد (٢٢/٢٢٥).
قلت: حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رواه الحاكم (١١٢١)، وصححه الذهبي. المستدرك (١/٤٤٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

وعن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»[1].



(١) رواه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢)، وأحمد (٢٤٥٦٦).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وصححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح (٦٠٧٧).



المبحث الخامس
تفريغ الوقت والجهد للأعمال العظام



إن التفرغ للأعمال العظيمة، التي تقع على عاتق المكلف بها وحده؛ يعد من أهم عناصر إدارة الوقت؛ إذ إنفاق الوقت فيما سواها يعد مضيعة لها، وإهدارا للوقت في المفضول عن الفاضل، وإن كان ما سواها عظيما أيضا، لكن من المتاح أن يقوم به سواه.

فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يعمل في التجارة، ويسكن في أطراف المدينة، فلما ولي الخلافة حاول أن يجمع بينها وبين التجارة، لكنه لما وجد أن ذلك يؤثر على مصالح المسلمين ترك التجارة، وسكن المدينة، فقد روى ابن سعد عن غير واحد قال: بويع أبو بكر الصديق يوم قبض رسول الله ﷺ، يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله - ﷺ -، وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة فأقام هناك بالسنح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، وعليه إزار ورداء

ممشق فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، فكان إذا حضر صلى بالناس، وإذا لم يحضر صلى عمر بن الخطاب، وكان يقيم يوم الجمعة في صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته، ثم يروح لقدر الجمعة فيجمع بالناس، وكان رجلا تاجرا فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو نفسه فيها، وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحي: يا جارية، أتحبين أن أرغي[1] لك أو أصرح[2]؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرح، فأي ذلك قالت فعل، فمكث كذلك بالسنح ستة أشهر، ثم نزل إلى المدينة فأقام بها ونظر في أمره، فقال: لا والله ما يصلح أمر الناس التجارة، وما يصلح لهم إلا التفرغ

(١) قال بن دريد: (ويقال: رغوة، والجمع رغى، مقصور، وهو ما طفا على اللبن من الزبد، أرغى اللبن يرغي إرغاء، إذا صارت له رغوة. وارتغى الرجل يرتغي ارتغاء، إذا شرب الرغوة). جمهرة اللغة (٧٨٢/٢).

وقال الخليل: (رغا البعير، والناقة، يرغو رغاء. والضبع ترغو، وسمعت رواغي الإبل، أي: رغاءها وأصواتها. وأرغى فلان بعيره: إذا فعل به فعلا يرغو منه، ليسمع الحي صوته فيدعوه إلى القرى. وقد يرغي صاحب الإبل إبله بالليل، ليسمع ابن السبيل رغاءها فيميل إليها. والرغوة: زبد اللبن). العين (٤٤٤/٤).

(٢) قال الأزهري: (وقال الليث:.. والصريح: المحض الخالص من كل شيء، ويقال للبن والبول صريح إذا لم يكن فيه رغوة). تهذيب اللغة (١٣٩/٤).

والنظر في شأنهم، وما بد لعيالي مما يصلحهم، فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم، ويحج ويعتمر[1].

وحتى لو كان العمل يبدو يسيرا، لكنه سوف يؤثر على الالتزامات المباشرة، فإنهم كانوا يقومون بما التزموا به، ولا ينشغلون عنه ولو باليسير من العمل، حتى يعطى كل عمل حقه، فهذا عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقر أنه لو كان يستطيع مع الخلافة عملا لكان مؤذنا، مع أن الأذان قد يبدو للبعض أنه لا يكلف كبير جهد والوقت؛ فعن قيس بن أبي حازم قال: قال عمر بن الخطاب: لو كنت أطيق مع الخِلِّيفى[2] لأذنت[3].

وقد روي أن أبا الدرداء كان تاجرا قبل أن يبعث النبي ﷺ ثم أراد العبادة والتجارة، فلم يجتمعا له، ثم ترك التجارة وآثر العبادة، وقال: لا أقول إن الله لم يحل البيع، ولكن أحب أن أكون من الذين ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧][4].

(١) رواه ابن سعد من طرق عدة (٣/١٨٦).

(٢) قال أبو عبيد: (الخِلِّيفى وهي الخلافة، وإياها أراد عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بقوله: لو أطيق الأذان مع الخِلِّيفى لأذنت) غريب الحديث (٣/٣١٩).

(٣) رواه ابن سعد (٣/٢٩٠) بسند صحيح متصل، رجاله ثقات.

(٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٥٥٦ - ٥٥٧).



المبحث السادس
اغتنام أوقات الشباب والمعافاة



لا يخفى قول النبي - ﷺ -: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)[١]، فالصحة، والفراغ من الشواغل يعدان فرصة ذهبية يجب استغلالها، ربما كان وقت اجتماعهما لا يدوم طويلا، لذا وجب عدم التفريط فيهما، واستغلالها أحسن استغلال، وكان مغبونا من فرط فيهما، ولم يستفد منهما، لذا كان ابن عمر - رضي الله عنهما -، يقول: خذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[٢][٣].

(١) رواه البخاري، وقد سبق.

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٣) قال ابن رجب الحنبلي: (قوله: (وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك)، يعني: اغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت، وفي رواية: (فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا) يعني: لعلك غدا من الأموات دون الأحياء. وقد روي معنى هذه الوصية عن النبي - ﷺ - من وجوه، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». وقال غنيم بن قيس: كنا نتواعظ في أول الإسلام: ابن آدم اعمل في فراغك قبل شغلك، وفي شبابك لكبرك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك، وفي حياتك لموتك. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان،=

قال ابن الجوزي: (اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون متفرغا من الأشغال ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا للعبد ثم غلب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغبن كيف والدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر)[١].

ولما كان للشباب ثورة وفورة يجب توجيهها في المسار الصحيح، والاستفادة منها، والتحذير شرها جاء التوجيه النبوي بذلك، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا

= أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة». والمراد من هذا أن هذه الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه، إما في خاصة الإنسان، كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته، وبعضها عام، كقيام الساعة، وخروج الدجال، وكذلك الفتن المزعجة كما جاء في حديث آخر: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم». وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وروي عن عائشة قالت: إذا خرج أول الآيات، طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال. خرجه ابن جرير الطبري، وكذا قال كثير بن مرة، ويزيد بن شريح، وغيرهما من السلف. فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها، إما بمرض أو موت، أو بأن يدركه بعض هذه الآيات التي لا يقبل معها عمل. قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق، فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير. ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه، ويتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن فيها من العمل، فلا تنفعه الأمنية). اهـ مختصرا. جامع العلوم والحكم (٢/٣٨٧ ـ ٣٩٠).

(١) كشف المشكل (٢/٤٣٧ ـ ٤٣٨).

رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

لذا استحق من يحسن في شبابه الجزاء العظيم، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله..) وذكر منهم: (وشاب نشأ في عبادة ربه)[2].

وقد فطن الآل والأصحاب لذلك، وعملوا بسنة النبي - ﷺ - فيه، ودعوا غيرهم له.

فعن تميم الداري - رضي الله عنه - يعمل بما تعلمه من النبي - ﷺ - في ذلك، ويأمر به غيره، فعن أبي تميمة الهجيمي: أن رجلا قال لتميم الداري: كيف تقرأ القرآن؟ فغضب وانتهره، فقال الرجل: إنكم والله معاشر أصحاب محمد لجديرون أن تسألوا فلا تحدثون، وأن تعنفوا من سألكم. قال تميم الداري للرجل: لعلك من الذين يقرءون القرآن في ليلة، ثم يصيحون فيحدثون الناس أنهم قد قرءوا القرآن في ليلة، وإن أقرأ ثلاثين آية في ليلة أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع في ليلة. ثم قال: أفرأيت إن كنت أنا مؤمن قوي، وأنت مؤمن ضعيف أفتأخذ قوتي بضعفك فتنبت؟ أرأيت لو كنت مؤمنا قويا، وأنا مؤمن ضعيف، أتأخذ قوتك بضعفي فأنبت؟ فخذ من قوتك لضعفك، ومن ضعفك لقوتك،

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).



ومن فراغك لشغلك، ومن شغلك لفراغك، ومن صحتك لسقمك، ومن سقمك لصحتك، حتى يستقيم لك الأمر على عبادة تطيقها[1].

وعن غنيم بن قيس[2] قال: كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربع، كنا نقول: اعمل في شبابك لكبرك، واعمل في فراغك لشغلك، واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في حياتك لموتك[3].

وعن عمرو بن ميمون، قال: كان يقال: بادروا بالعمل أربعا: بالحياة قبل الممات، وبالصحة قبل السقم، وبالفراغ قبل الشغل، ولم أحفظ الرابعة[4].

وكان ابن عباس ـ فيما روي عنه ـ يأمر أصحابه بالتعلم، واستغلال فترة الشباب، ولا يلتفتوا لصغر السن، وأنه لا يُحتاج إليهم في ذلك الوقت، ويشير إلى أنه لا يدري الإنسان متى يحتاج الناس إليه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: «تعلموا، فإن أحدكم لا يدري متى يحيل إليه»[5].

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٨١).

(٢) قال المذي: (غنيم بن قيس المازني الكعبي، أبو العنبر البصري، أدرك النبي ﷺ ولم يره). اهـ تهذيب الكمال (٢٣/١٢٠).
وقال العلائي: (أدرك الجاهلية...، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه: هل له صحبة؟ فقال: لا، بل هو تابعي). اهـ جامع التحصيل (صـ٦١٤).
وذكر ابن الحجر خلافا يسيرا في صحبته، انظر: الإصابة (٥/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٣)، وهناد بن السري في الزهد (٥٠١)، وابن الجعد في مسنده (١٤٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٠٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٩٤١).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٢٦١١٩).

وكان عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - يعد اجتهاده في العبادة استمتاع بالقوة والشباب، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: جمعت القرآن وقرأته في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى أن يطول عليك الزمان وتمل قراءته»، ثم قال: «اقرأه في شهر»، قلت: يا رسول الله، دعني استمتع من قوتي وشبابي، قال: «اقرأه في عشرين»، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: «اقرأه في سبع»، قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى[1].

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - من شدة اجتهاده في حال شبابه وقوته، ما استطاع الناس أن يقتدوا به، وإنما لما كبر سنه وضعفت قوته استطاعوا وقتها أن يقتدوا بعمله في حال كبره، عن مجاهد قال: ترك الناس أن يقتدوا بابن عمر وهو شاب، فلما كبر اقتدوا به[2].

وعن عمر - رضي الله عنه - قال: قد يكون في الرجل عشرة أخلاق، تسعة صالحة، وواحدة سيئة فيفسد التسعة الصالحة الخلق السيئ، اتقِ عثرات الشباب. أو قال: غرات الشباب[3].

وكان ابن عباس ـ ر ضي الله عنهما ـ ندم فَوْت عمل كان الأنسب له وقت الشباب، وأثنى على الحسن - رضي الله عنه - بما قام به من ذلك، فعن

(١) رواه بهذا اللفظ: ابن ماجه (١٣٤٦)، والنسائي في الكبرى (٨٠١٠)، وأحمد (٦٥١٦)، وعبد الرزاق (٥٩٥٦)، وابن حبان (٧٥٧).

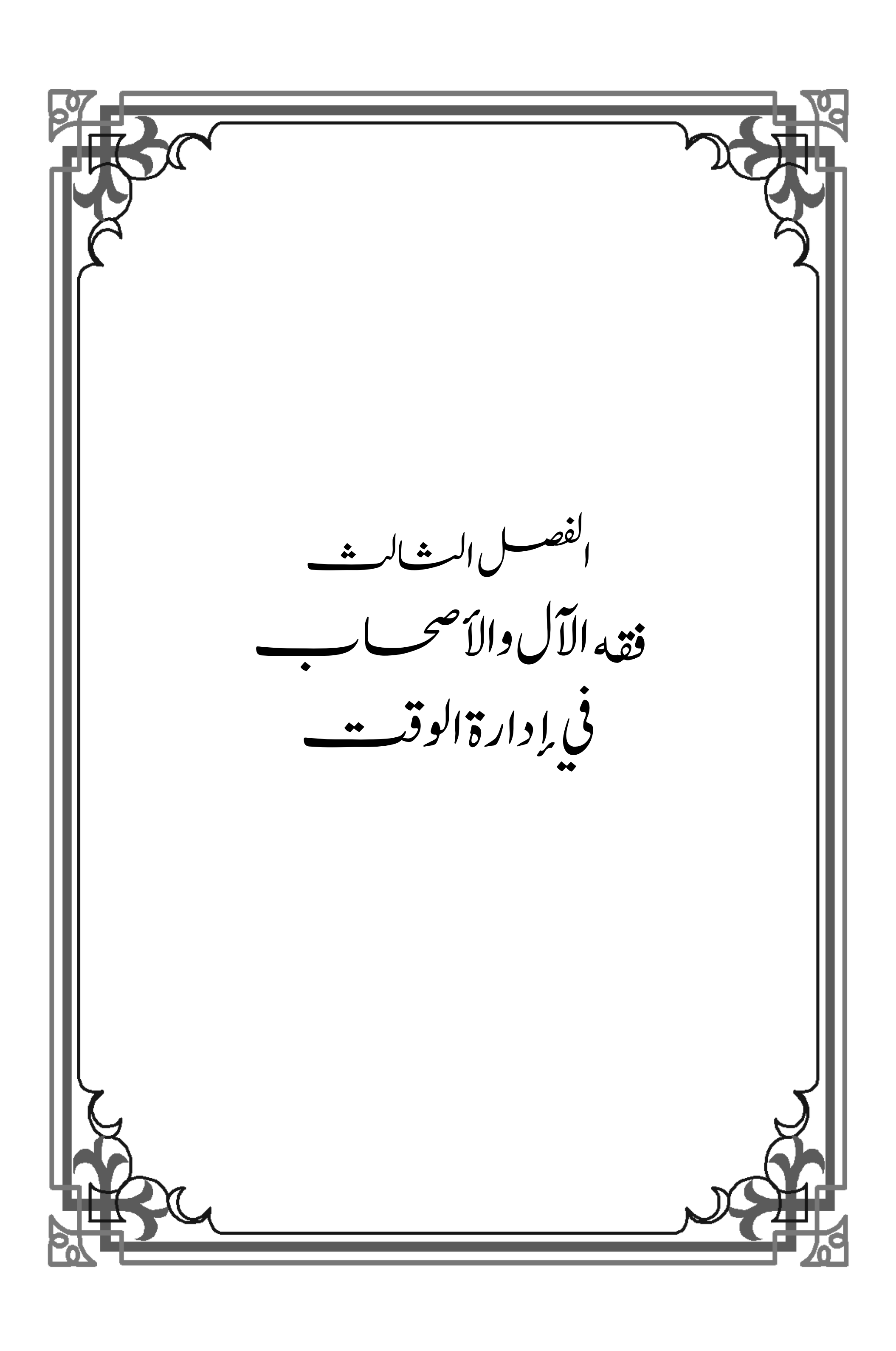
(٢) رواه ابن سعد (٤/ ١٤٧).

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٢٤٠)، وأبو مسهر في نسخته (٣٤).

ابن عباس قال: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشيا، ولقد حج الحسن بن علي - ﵄ - خمسة وعشرين حجة ماشيا، وإن النجائب لتقاد معه، لقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه يعطي الخف ويمسك النعل[1].



(١) رواه ابن سعد (الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة) (١/١٣٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٥٤٢).



الفصل الثالث

فقه الآل والأصحاب في إدارة الوقت



الفصل الثالث

فقه الآل والأصحاب في إدارة الوقت



نذكر في هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ شيئًا من فقه الآل والأصحاب في إدارة الوقت، وأبرز سماتهم في ذلك، والأسس المعتبرة في تعاملهم مع الوقت، وذلك من خلال جملة من المباحث التي تبين تلك الطريقة.

ولا شك أن فقه الآل والأصحاب في إدارة الوقت ـ وغيرها ـ لم يكن يخرج في كبير أو صغير عن الكتاب والسنة، ومما شاهدوه أو تعلموه من النبي ـ ﷺ ـ؛ إذ هم خير من آمن وعمل بما في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ـ ﷺ ـ، ولما كان الاعتدال والتوازن من سمات هذا الدين الحنيف، كان كذلك فقههم في التعامل مع الوقت، ويتضح ذلك من خلال المباحث التالية، التي نتناول فيها فقههم وطريقتهم في إدارة الوقت.





المبحث الأول

تكليف النفس بما تطيق



لا شك أن تكليف النفس ما تطيقه من الأعمال هو تشريع رباني حكيم، شرعه الله تعالى لعباده؛ كما في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وجاءت السنة النبوية بذلك أيضا، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا»[1].

فلما كان تكليف النفس ما تطيق تشريعا ربانيا، وسنة نبوية، ومبدأ من مبادئ هذا الدين الحنيف، فلم يكن بعيدا أن يكون أمرا متبعا معمولا به عند الآل والأصحاب، مع ما عرف عنهم من الاجتهاد والهمة العالية.

وكما يحسن بالإنسان أن يحدد لنفسه الأهداف، ويضع لها الخطط، وينظم وقته بناء على ذلك، فإنه أيضا لابد أن يكلف نفسه من ذلك ما يطيق من ذلك، حتى يستطيع إنجاز ما وضعه لنفسه من أهداف وطريقة عمل.

---

(١) رواه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥).

قال البيهقي: (قال الشافعي: وذلك تخوفا على من تكلف ما لا طاقة له به السآمة حتى يدع قليل العمل وكثيره). اهـ معرفة السنن والآثار (٤/٥٠).

وعن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»[١].

وكان آل بيت النبي ـ ﷺ ـ من أول الناس عملا بسنته ـ ﷺ ـ، فعن عائشة، أنها قالت: كان لرسول الله ـ ﷺ ـ حصير، وكان يحجره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة[٢]، فقال: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل». وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملا أثبتوه[٣][٤].

وكانت الحولاء بنت تويت ـ رضي الله عنها ـ تكلف نفسها فوق ما تطيق من

---

(١) رواه البخاري (٢٠).

(٢) قال النووي: (قوله: (وكان يحجره من الليل ويبسطه بالنهار) أي يتخذه حجرة كما في الرواية الأخرى، قوله: (فثابوا ذات ليلة) أي اجتمعوا، وقيل، رجعوا للصلاة). شرح النووي على مسلم (٦/٧١).

(٣) قال النووي: (قوله ـ ﷺ ـ: (عليكم من الأعمال ما تطيقون) أي تطيقون الدوام عليه، بلا ضرر وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق وليس الحديث مختصا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر). اهـ

وقال أيضا: (قوله (وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملا أثبتوه) أي لازموه وداوموا عليه والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ من أزواجه وقرابته ونحوهم). اهـ شرح النووي على مسلم (٦/٧١، ٧٢).

(٤) رواه مسلم (٧٨٢).

العبادة، فجاء التوجيه من النبي ـ ﷺ ـ بالتكليف بما نطيق من الأعمال، فعن عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي ﷺ، أخبرته أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله ـ ﷺ ـ، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام الليل؟! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا»[1].

وقد أوصى بذلك النبي ـ ﷺ ـ عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، إلا أن ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ آثر أن يبذل أكثر من ذلك، ثم تمنى أو لو كان عمل بوصية النبي ـ ﷺ ـ له؛ فعن عبد الله بن عمرو، قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «القني به»، فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم، قال: «وكيف تختم؟»، قال: كل ليلة، قال: «صم في كل شهر ثلاثة، واقرإِ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة»، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوما» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة».

فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت)[2].

(١) رواه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥).

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

وكان النبي ـ ﷺ ـ ينهاهم عن الأمر الذي لا يطيقونه، ولا تتحمله أحوالهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إياكم والوصال» مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»[١].

كان تكليف النفس بما تطيق منهجا متعبا عندهم حتى فيما يبدو يسيرا في أعين الناس، فعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذنت»[٢].

وكان من فقههم أيضا أنهم إذا كلفوا غيرهم بعمل كلفوهم بما يطيقون، فعن مجاهد، أن أبا ذر، كان يصلي وعليه برد قطن، وشملة، وله غنيمة، وعلى غلامه برد قطن، وشملة، فقيل له: فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإن فعلتم فأعينوهم، وإن كرهتموهم فبيعوه، واستبدلوهم، ولا تعذبوا خلقا أمثالكم»[٣].

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق[٤]»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٦).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٨٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٩٦٦) بهذا اللفظ، وهو منقطع.

(٤) قال البيهقي: (قال الشافعي رضي الله عنه: ومعنى لا يكلف من العمل إلا ما يطيق؛ يعني به والله أعلم: إلا ما يطيق الدوام عليه). اهـ السنن الصغير (٣/١٩٧).

(٥) رواه مسلم (١٦٦٢).



وكذلك الحال يكون في من كلف بعمل، ثم لم يجد له به طاقة، فله أن يعتذر عنه، فعن عن أبي نضرة، أن عمر، ـ ﷺ ـ عنه بعث هرم بن حيان على الخيل فغضب على رجل فأمر به فوجئت عنقه ثم أقبل على أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيرا، «ما نصحتموني حين قلت ولا كففتموني عن غضبي والله لا ألي لكم عملا» ثم كتب إلى عمر: «يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرعية فابعث إلى عملك»[1].



(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/١٢٠).



المبحث الثاني
مراعاة كافة جوانب الحياة



لما كان ديننا الحنيف يراعي الجوانب المختلفة لحياة الإنسان، ويحقق له التوازن كان لزاما أن تراعى هذه الجوانب، وهذا ما كان عليه الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ في تعاملهم مع الوقت، عملا بكتاب الله تعالى، وسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللذان يحثان على ذلك.

فعن حنظلة، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوعظنا، فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة فقال: «مه» فحدثته بالحديث، فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال: «يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة، حتى تسلم عليكم في الطرق»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قلت: بلى يا

(١) رواه مسلم (٤/٢١٠٧).

رسول الله ، قال: «فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا»[1] .

وكانوا يتواصون بوصية النبي ـ ﷺ ـ تلك ، فعن شهر بن حوشب قال: جاء سلمان إلى أبي الدرداء فلم يجده ، فسلم على أم الدرداء وقال: أين أخي ؟ قالت: في المسجد ، وعليه عباءة له قطوانية ، فألقت إليه خلق وسادة ، فأبى أن يجلس عليها ولوى عمامته فطرحها فجلس عليها ، قال: فجاء أبو الدرداء معلقا لحما بدرهمين ، فقامت أم الدرداء فطبخته وخبزت ، ثم جاءت بالطعام وأبو الدرداء صائم ، فقال سلمان: «من يأكل معي ؟» ، فقال: تأكل معك أم الدرداء ، فلم يدعه حتى أفطر ، فقال سلمان لأم الدرداء ورآها سيئة الهيئة: «ما لك ؟» ، قالت: إن أخاك لا يريد النساء ، يصوم النهار ويقوم الليل ، فبات عنده ، فجعل أبو الدرداء يريد أن يقوم فيحبسه حتى كان قبل الفجر فقام فتوضأ وصلى ركعات ، فقال له أبو الدرداء: حبستني عن صلاتي ، فقال له سلمان: «صل ونم ، وصم وأفطر ، فإن لأهلك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا»[2] .

وقالت أم غزوان للربيع بن خثيم: أما لفراشك عليك حق أما لنفسك عليك حق ؟ قال: يا أماه إنما أطلب راحتها أبادر طي صحيفتي . وقال: لله علي أن لا يراني ضاحكا حتى أعلم أي الدارين داري . قال الحسن رحمه الله : عزم ففعل فوالله ما رئي ضاحكا حتى لحق بالله وكان همام رحمه الله لا

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٩) ، ومسلم (١١٥٩) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٦٦٨) .

ينام على فراشه يصلي حتى ينعس في مسجده، ثم يقوم فيصلي ليله كله[1].

وكذلك الأمر في إيفاء الحقوق للأطراف المختلفة، فعن محارب بن دثار عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق[2].

وعن أرطاة بن المنذر، قال: لقي علي بن أبي طالب، ابنه الحسن وهو خارج من عند عثمان بن عفان رضي الله عنهم، فقال: يا بني أما لي عليك حق الوالد؟ فقال الحسن رضي الله عنه: حق الوالد ثم قال الحسن: حق الخليفة أعظم من حق الوالد[3].

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يعبد ربه سبحانه وتعالى، ويرعى مصالح بيته، ويذهب لأهله، مراعيا كافة الحقوق الواجبة عليه في يومه، فعن ابن عمر، أنه كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرتفع الضحى ولا يصلي، ثم ينطلق إلى السوق فيقضي حوائجه، ثم يجيء إلى أهله فيبدأ بالمسجد

---

(١) كذا ذكره محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (صـ٦٥).

(٢) رواه أبو أمية الطرسوسي في مسند عبد الله بن عمر (١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤)، وذكره البغوي في شرح السنة (٣٧/١٣).
قال الألباني في تعليقه على هذا الأثر: (ضعيف الإسناد، فيه الوصافي، واسمه عبيد الله بن الوليد، ضعيف). اهـ الأدب المفرد (صـ٥٣).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣١).
والخبر منقطع، فأرطأة بن المنذر ثقة، لكنه لم يدرك علي ولا الحسن - رضي الله عنهما -، وإنما عاصر صغار التابعين. انظر التقريب (٢٩٨).



فيصلي ركعتين، ثم يدخل بيته[1].

وهذا أبو بكر - رضي الله عنه - يتجر لينفق على أهله مع قيامه بحقوق الرعية ـ أول خلافته ـ، فعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئا، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وماكسوه في الرأس والبطن..[2].

وكانوا يجمعون أحيانا بين العبادة وعمل الدنيا ما أمكن ذلك، عن أبي ميمونة، أنه سأل ابن عمر، عن الرجل يحج ويحمل معه تجارة؟ فقال ابن عمر - رضي الله عنه -: لا بأس به، وتلا هذه الآية: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢][3].

وروي نحو هذا المعنى أيضا عن ابن عباس وابن الزبير[4] - رضي الله عنهم -.

وعن ابن عباس، - رضي الله عنهما -: أن الناس كانوا في أول الحج يتبايعون

(١) رواه ابن سعد (١٤٧/٤).

(٢) رواه ابن سعد (١٨٤/٣)، ومن طريق ابن سعد رواه البلاذري (٦٩/١٠).

والخبر رجاله ثقات، لكنه منقطع، فعطاء بن السائب، من صغار التابعين؛ من الخامسة، ولم يشهد زمان أبي بكر - رضي الله عنه -. انظر: التقريب (٤٥٩٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٣٣٦٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (١٣٣٦٥).



بمنى، وعرفة، وسوق ذي المجاز، ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨][١].

وعن عائشة، قالت: لما ولي أبو بكر قال: قد علم قومي أن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلي، وقد شغلت بأمر المسلمين، وسأحترف للمسلمين في مالهم، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال[٢].

وعن مجاهد، قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ: جعت مرة بالمدينة جوعا شديدا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا، فظننتها تريد بله فأتيتها، فقاطعتها كل ذنوب على تمرة، فمددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يداي، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: بكفي هكذا بين يديها ـ وبسط إسماعيل يديه وجمعهما ـ، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها[٣].

وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أيضا أنه كان يتجر في خلافته ليقوم بحق أهله وحق الرعية، عن إبراهيم: أن عمر بن الخطاب كان يتجر وهو خليفة[٤].

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ مع قيامه بشؤن نفسه وأهله، وبالخلافة وما فيها،

---

(١) رواه الحاكم (١٦٤٨)، وصححه.

(٢) رواه ابن سعد (١٨٥/٣).

(٣) رواه أحمد (١١٣٥)، وإسناده منقطع؛ فمجاهد لم يسمع عليا ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه ابن سعد (٢٧٨/٣)، والخبر أيضا منقطع، فإبراهيم هو ابن يزيد النخعي، ثقة، لكنه لم يدرك عمر ـ رضي الله عنه ـ.



كان أيضا عنده من العلم بشؤن البيت ما يعلمه لغيره، فعن حزام بن هشام، عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرمادة مر على امرأة وهي تعصد عصيدة لها فقال: ليس هكذا تعصدين، ثم أخذ المسوط فقال: هكذا، فأراها[(١)].

وعن هشام بن خالد قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: لا تذرن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء، ثم تذره قليلا قليلا وتسوطه بمسوطها، فإنه أريع له، وأحرى أن لا يتقرد[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود ﵁، أنه كان نظيفا لطيفا له ضفيرتان يرسلهما من وراء أذنيه، كان يوقظ النبي ﷺ إذا نام، ويستره إذا اغتسل، ويرحل له إذا سافر، ويماشيه في الأرض الوحشاء، هو أحد النفر الذين دار عليهم علم القضاء والأحكام من الصحابة[(٣)].

وكان حتى للقاء الناس وإلقاء السلام عليهم وقته، فعن ابن عمر: إني لأخرج إلى السوق ما لي حاجة إلا أن أسلم ويسلم علي[(٤)].

ولخلو المرء بنفسه للتفكر والمحاسبة أيضا وقته، فعن ابن عمر - ﵄ - أيضا قال: خذوا بحظكم من العزلة[(٥)].

---

(١) رواه ابن سعد (٣/٣١٤).
(٢) رواه ابن سعد (٣/٣١٤).
(٣) رواه أبو يوسف في الآثار (٩٣٧) عن أبي حنيفة قال بلغني.. فذكره بنحوه، وهو منقطع، وذكره لإسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السلف الصالحين (صـ٤٧٥) بهذا اللفظ.
(٤) رواه ابن سعد (٤/١٥٦).
(٥) رواه ابن سعد (٤/١٦١).



المبحث الثالث
المسابقة والمنافسة في اغتنام الأوقات

تعد المسارعة والمنافسة في اغتنام الوقت، وعدم التراخي في القيام بأعمال الخير النافعة في الدين والدنيا مما تميز به ديننا الحنيف، وهي أيضا أهم الدعائم في استثمار الوقت وحسن إدارته، وقد أوصى الله تعالى بالمبادرة بالخيرات والمسابقة فيها، فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال أيضا: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣]، وقال سبحانه بعد ذكره نعيم الجنة: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، كما ذكر صفة المسارعة في الخيرات في سياق المدح والثناء لمن اتصف بها، فقال: سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وجاءت السنة النبوية أيضا بالمبادرة والمسارعة بالخيرات قبل حصول الشواغل، فعن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم..»[١]، وفي هذا المعنى عن أبي هريرة

(١) رواه مسلم (١١٨).

ـ رضي الله عنه ـ أيضا، أن رسول الله ﷺ، قال: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة[1]»[2].

لهذا كان الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ يسارعون في الخيرات أيما مسارعة، ويتنافسون فيها، ويدعون غيرهم لذلك.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: (أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة

(١) قال ابن الجوزي: (وقوله: (أو خاصة أحدكم) أي ما يخصه من الموت الذي يمنعه من العمل. (أو أمر العامة) يعني القيامة، لأنها تعم الناس جميعا بالموت، يقول: فبادروا الموت والقيامة بالأعمال). اهـ كشف المشكل (٣/٤٧٧).

وقال القرطبي: ((قوله: بادروا) أي: سابقوا بالأعمال الصالحة، واغتنموا التمكن منها قبل أن يحال بينكم وبينها بداهية من هذه الدواهي المذكورة، فيفوت العمل للمانع، أو تعدم منفعته لعدم القبول..، و(قوله: وخاصة أحدكم) يعني به: الموانع التي تخصه مما يمنعه العمل، كالمرض والكبر والفقر المنسي، والغنى المطغي، والعيال والأولاد، والهموم، والأنكاد، والفتن، والمحن إلى غير ذلك مما لا يتمكن الإنسان مع شيء منه من عمل صالح، ولا يسلم له..، و(قوله: وأمر العامة) يعني: الاشتغال بهم فيما لا يتوجه على الإنسان فرضه؛ فإنَّهم يفسدون من يقصد إصلاحهم، ويهلكون من يريد حياتهم، لا سيما في مثل هذه الأزمان التي قد مرجت فيها عهودهم، وخانت أماناتهم، وغلبت عليهم الجهالات والأهواء، وأعانهم الظلمة والسفهاء على هذا، فعلى العامل بخويصة نفسه، والإعراض عن أبناء جنسه إلى حلول رمسه، أعاننا الله على ذلك بفضله وكرمه). اهـ المفهم (٧/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).



وتجمعوا الْإِلْحَافَ[1] بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠])[2].

وكان علي - رضي الله عنه - يعلم من جاء بعده أن الخير ليس في كثرة المال والولد، وإنما يكمن في العمل الصالح، والمسارعة في الخيرات، قال علي - رضي الله عنه -: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبا، فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟)[3].

وكان من فقه جعفر بن محمد[4]، المسارعة بالمعروف، فعنه - رضي الله عنه - أنه قال: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وستره[5].

---

(١) قال الخليل: (الإلحاح: الإلحاف في المسألة، ألح يلح فهو ملح. وألح المطر بالمكان: أي دام به. والإلحاح: الإقبال على الشيء لا يفتر عنه). اهـ العين (٢٩/٣).
وقال الأزهري: (وقال الليث: أحفى فلان فلانا إذا برح به في الإلحاف عليه أو مساءلة فأكثر عليه في الطلب. قلت: الإحفاء في المسألة مثل الإلحاف سواء وهو الإلحاح). اهـ تهذيب اللغة (١٦٧/٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٣١).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٥/١).

(٤) قال إسماعيل الأصبهاني: (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه يقال: إنه الصادق) (صـ٧٢١).

(٥) سير السلف الصالحين (صـ٧٢٢).



وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك، وأن تباري الناس في عبادة الله عز وجل، إن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله[1].

وكانوا رضي الله عنهم يتسابقون في الخيرات، ويتنافسون فيها، ويثني بعضهم على بعض بالمسارعة إليها.

فعن أبي جعفر الباقر، قال: دخل علي على أبي بكر بعد ما سجي، فقال: ما أحد ألقى الله بصحيفته أحب إلي من هذا المسجى[2].

وعن علي: ما خلّفت أحب إليّ أن ألقى اللهَ بمثل عمله منك، وَايْمُ اللهِ إن كنت لأظن أن يجعلك اللهُ مع صاحبك[3].

وعن أسلم، قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سَبَقْتُه يوما، فجئت بنصف مال، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا[4].

---

(١) ذكره إسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السلف الصالحين (صـ٥٥٦).

(٢) ذكره الذهبي في السير، قال: (وقال عبد الواحد بن أيمن وغيرهم، عن أبي جعفر الباقر..) اهـ فذكره. سير أعلام النبلاء (راشدون/١٩).

(٣) صحيح: متفق عليه، وسيأتي.

(٤) إسناده حسن: رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، وعبد ابن حميد (١٤)،=



وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا وَاللهِ مَا سَابَقْتُهُ ـ يعني أبا بكر ـ إلى خير قطّ إلا سبقني إليه[1].

وكانت المسابقة في خير، حتى البداءة بالسلام، فعن بشير بن يسار، قال: ما كان أحد يبدأ أو يبدر ابن عمر بالسلام[2].

وعن عبد الله بن عطاء، أن ابن عمر، كان لا يمر على أحد إلا سلم عليه، فمر بزنجي، فسلم عليه، فلم يرد عليه، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن إنه زنجي طمطماني، قال: وما طمطماني؟ قالوا: أخرج من السفن الآن، قال: إني أخرج من بيتي، ما أخرج إلا لأسلم أو ليسلم علي[3].

وكانوا يذكرون فضل الله عليهم، ومن ذلك الفضل سبقهم لغيرهم في الخيرات، فقد روي عن أبي سعد الأزدي، أنه: سمع عبد الله بن

= والدارمي (١٧٠١)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢٤٠)، والبزار (٢٧٠)، والحاكم (١٥١٠).

وإسناده حسن؛ رجاله ثقات، إلا أن فيه هشام بن سعد المدني أبو عباد، صدوق له أوهام، وقد تُكلم فيه وضُعّف، إلا أن أبا داود قال: هو أثبت الناس في زيد بن أسلم. انظر: التقريب (٧٢٩٤)، و(ميزان الاعتدال) (٤/٢٩٩).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وذكره الضياء في المختارة (٨٠)، وحسنة.

(١) إسناده صحيح: وهو جزء من خبر طويل، رواه أحمد (١٧٥)، وسيأتي بطوله إن شاء الله في جهود عمر ـ رضي الله عنه ـ في جمع القرآن.

(٢) رواه ابن سعد (٤/١٥٢).

(٣) رواه ابن سعد (٤/١٥٦).



مسعود، يقول: لقد تلقيت مِن في رسول الله ﷺ سبعين سورة، أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت له ذؤابة يلعب مع الصبيان[1].

وعن زر بن حبيش، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، أنه قال: كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، وقد فرا من المشركين، فقالا: (يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟)، قلت: إني مؤتمن، ولست ساقيكما، فقال النبي ﷺ: (هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟) قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع، ودعا، فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر رضي الله عنه بصخرة منقعرة، فاحتلب فيها، فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربت، ثم قال للضرع: (اقلص) فقلص، فأتيته بعد ذلك، فقلت: علمني من هذا القول؟ قال: (إنك غلام معلم)، قال: فأخذت من فيه سبعين سورة، لا ينازعني فيها أحد[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٤٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٢٥).

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد (٤٤١٣)، وأبو داود الطيالسي (٣٥١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٨٨)، وفي المصنف (٣١٨٠١)، وأبو يعلى الموصلي (٤٩٨٥)، وابن حبان (٦٥٠٤).

قال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الحنائي: هذا حديث حسن. انظر: أنيس الساري (٣/١٩٨١).

وقال الشيخ شعيب في تعليقه على مسند أحمد: (إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم، عفان: هو ابن مسلم الصفار). اهـ مسند الإمام أحمد (٦/٨٣).

وذكره مقبل الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيح (٨٤١)، وقال: حديث حسن. =

عن قيس بن مروان، أنه أتى عمر، فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل، فقال: ومن هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود. فما زال يطفأ ويسرى عنه الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها.

ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذاك في الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة، وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ، وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا أن نعرفه، قال رسول الله ﷺ: (من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد). قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: (سل تعطه، سل تعطه)، قال عمر: قلت: والله لأغدون إليه فلأبشرنه، قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه[1].

= وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (صـ١٢٤).

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (١٧٥) بإسنادين، وأبو يوسف في الآثار (٢١٩)، وأبو يعلى (١٩٤) بإسنادين مثل أحمد، وابن خزيمة في صحيحه (١١٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٥٩٢).

وذكره الضياء في المختارة (١/١٩٤)، وقال: إسناده صحيح.

قال شعيب الأرنؤط في تعليقه على المسند: (إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط=



وهذا أبو عبيدة يلح على أبي بكر - رضي الله عنهما - أن لو ترك له عملا يرى فيه شرفا جما وقربة عظيمة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كله يوم طلحة، ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دونه، وأراه قال: يحميه، قال: فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلا من قومي أحب إلي، وبيني وبين المشرق رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه، وهو يخطف المشي خطفا لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كسرت رباعيته، وشج في وجهه وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عليكما صاحبكما»، يريد طلحة، وقد نزف، فلم يلتفت إلى قوله، وذهبت لأنزع ذاك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره أن يتناولهما بيده، فيؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فأزم عليهما بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما، فأصلحنا من شأن النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[1].

= الشيخين، والثاني رجاله ثقات رجال الشيخين غير قيس بن مروان، فقد روى له النسائي). اهـ مسند أحمد (١/٣٠٩).

(١) إسناده ضعيف: رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٦)، والحاكم في المستدرك=



عن أبي سلمة، قال: قال عثمان حين ضرب الرجل يده: إنها لأول يد خطت المفصل[1].

= (٤٣١٥) وصحح إسناده، والضياء في المختارة (٤٩).

وضعف الذهبي إسناده في تعليقه على المستدرك، وكذلك ضعف إسناده الضياء في المختارة.

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٢)، وفي الأوائل (١٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١١٩). كلهم من طريق الزهري عن أبي سلمة به، وأبو سلمة هو بن عبد الرحمن بن عوف، ثقة إلا أنه لم يسمع من عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما ذكر ابن حجر في التهذيب (١١٧/١٢).

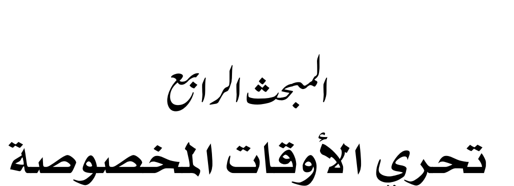
إلا أنه له إسناد آخر يتقوى به، فرواه ابن شبة (١٣٠٩/٤)، والبلاذري (٥٨٥/٥).

قال ابن شبة، قال: حدثنا قريش بن أنس، عن التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: لما قدم المصريون دخلوا على عثمان رضي الله عنه، فضرب ضربة على يده بالسيف، فقطر من دم يده على المصحف وهو بين يديه يقرأ فيه، على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] قال: وشد يده وقال: إنها لأول يد خطت المفصل. تاريخ المدينة (١٣٠٩/٤).

ورواه البلاذري بهذا الإسناد واللفظ إلا أنه قال عن أبي سعيد مولى أبي أسيد. ورجاله ثقات، إلا أن أنس تغير بأخرة، وأبو نضرة المنذر بن مالك، يروي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وروايته عنه عند مسلم وغيره، ويروي كذلك عن أبي سعيد مولى أبي أسيد.

فعن ابن معين قال: (سمعت يحيى يقول في حديث أبي سعيد مولى أبي أسيد في مقتل عثمان وغيره وكل شيء يرويه البصريون عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد يقولون أبو سعيد مولى أبي أسيد ومن قال أبو أسيد فهو أصوبهما). اهـ تاريخ ابن معين (٤٦٢٤).

وقال الإمام مسلم: (أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري شهد مقتل عثمان روى عنه أبو نضرة) اهـ الكنى والأسماء (٣٦٨/١).



المبحث الرابع
تحري الأوقات المخصوصة



إذا كان النشاط في العمل مطلوبا طوال الوقت، إلا أن هناك أوقاتا مخصوصا يضاعف فيها العمل، لخصوصية هذه الأوقات بمزيد من الفضل والبركة، سواء كان ذلك في أمر دين أو دنيا، فلما كان الأمر كله لله تعالى، واقتضت حكمته سبحانه أن يفضل بعض مخلوقاته على بعض، فكما فضل بعض الأماكن والبقاع على بعض، كما فضل المسجد الحرام على غيره من البقاع، وكما فضل سبحانه بعض الرسل على بعض، فقد فضل الله تعالى بعض الأوقات على بعض، وأخبرنا سبحانه بخصوصية بعض هذه الأوقات وبما تميزت به من الفضل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقد جاءت السنة أيضا بنحو هذا، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[١].

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1].

وعن أبي هريرة - ﵁ - أيضا: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئا، إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها[2].

فكان تحري الأوقات المخصوصة بالفضل والبركة ومضاعفة الأجور طريقة متبعة لدى الآل والأصحاب طلبا للأجر المضاعف فيها، ولمزيد من البركة في العمل والرزق، فتحروها بمزيد من العمل، أو تخصيص بعض الأعمال بوقت بعينه لكونه أنسب له.

فعن علي بن أبي طالب - ﵁ -: إن هذه الفرص تمر مر السحاب فانتهزوها. وكان يقول - ﵁ -: قيمة كل إنسان علمه[3].

وعن الحسن، أن رجلا سأل أبا ذر أي الليل أسمع؟ قال: جوف

(١) رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

(٣) رواه البلاذري (٢/١٢٧).



الليل الأوسط، قال: ومن يطيق ذلك؟ قال: من خاف أدلج[(١)].

عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه، فبينا أنا قائم أصلي، إذ وضع رجل يده على ظهري، فنظرت، فإذا هو عثمان بن عفان رحمة الله عليه وهو خليفة، فتنحيت عنه، فقام، فما برح قائما حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها، فلما انصرف، قلت: يا أمير المؤمنين، إنما صليت ركعة، قال: أجل هي وتري[(٢)].

وعن محمد بن سيرين أيضا: أن عثمان كان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة[(٣)]. وعن سليمان بن يسار، أن عثمان بن عفان، قام بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة، لم يصل قبلها ولا بعدها[(٤)].

وكما كان تحريهم لتلك الأوقات في العبادات، كانوا يتحرونها أيضا في طلب الأرزاق، فعن صخر الغامدي ـ رضي الله عنه ـ:.. أنه كان رجلا تاجرا، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله[(٥)].

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦٦١٥)، والحسن لم يصح سماعه من أبي ذر.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٠٠).

(٣) رواه عبد الرزاق (٥٩٥٢)، وابن سعد (٧٥/٣).

ورواه سعيد بن منصور في سننه (١٥٨)، بنحوه هذا المعنى عن ابن سيرين، قال: قالت امرأة عثمان رضي الله عنه ـ حين قتل ـ: لقد قتلتموه، وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٥).

(٥) رواه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وأحمد=





= (١٥٤٤٣)، والطيالسي (١٣٤٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣٨٢)، وابن الجعد في مسنده (١٦٩٦)، وابن أبي شيبة (٣٣٦١٩)، والدارمي في سننه (٢٤٧٩).

كلهم من طريق عمارة بن حديد عن صخر الغامدي ـ رضي الله عنه ـ، وعمارة مجهول. انظر التقريب (٤٨٤١).

وري هذا الأثر عن صخر ـ رضي الله عنه ـ بعد رواية الخبر المرفوع من روايته ـ رضي الله عنه ـ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها).



المبحث الخامس

المحاسبة والمراجعة للنفس



محاسبة النفس على ما عملت وقدمت من جهد أو تفريط، وعلى الأوقات التي مضت وكيف كانت، يعد منهجا شرعيا، وواجبا ملحا[1] لمن أراد الفوز والنجاة في الدارين، وهو سمة من سمات الصالحين والنجباء، فما بالك بالآل الأطهار، والأصحاب الأبرار ـ رضي الله عنهم

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.
فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همّته وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه..
النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:
أحدها: محاسبتها على طاعة قصّرت فيها من حق الله؛ فلم تُوقِعها على الوجه الذي ينبغي..
الثاني: أن يحاسب نفسه على عمل كان تركُه خيراً له من فعله.
الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد: لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؛ فيكون رابحاً فيه، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظَّفَرُ به.
فصل: وأضرّ ما عليه: الإهمالُ، وتركُ المحاسبة، والاسترسالُ، وتسهيلُ الأمور، وتمشيتُها؛ فإن هذا يؤول به إلي الهلاك، وهذه حال أهل الغرور: يُغمِض عينيه عن العواقب، ويُمشِّي الحال، ويتكل على العفو؛ فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة). اهـ باختصار. إغاثة اللهفان (١/١٣٨ ـ ١٤٠).



أجمعين ـ، فقد كان ذلك ديدنهم وطريقتهم.

فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون ـ أو قال: أيسر ـ لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨][١].

وعن الحسن بن علي قال: ومن لم يتفقد النقصان عن نفسه فإنه في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له[٢].

وعن أبي الدرداء، قال: من يتفقد يفقد، ومن لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز[٣].

وكان الباقر ـ رضي الله عنه ـ يوصي بأن يكون المرء وصي نفسه، فله في هذا الباب جملة نصائح، فعن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر قال: جاءه رجل فقال: أوصني! قال: هيئ جهازك، وقدم زادك، وكن وصي نفسك[٤].

(١) الزهد لابن المبارك (٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٣٤٤٥٩)، وأحمد في الزهد (٦٣٣)، وأبو عبيد في الخطب والمواعظ (١٤٤)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٢). قال ابن كثير بعد ذكره هذا الأثر: (أثر مشهور، وفيه انقطاع). اهـ مسند الفاروق (٦١٨/٢).

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٢٣٥)، وعزاه لابن النجار.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٩)، ابن أبي شيبة (٣٤٥٩٦)، وأبو داود في الزهد (٢٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢١٨/١).

(٤) رواه ابن عساكر (٢٩٢/٥٤).

وعن أبي جعفر الباقر - رضي الله عنه - أيضا قال: كفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه(١).

وعن الباقر أيضا قال: أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال(٢).

ومن محاسبة النفس لومها ومعاتبتها والندم على أعمال فات أوانها، وأخرى أن لو كانت عملتها، فهكذا فعل عمرو بن العاص - رضي الله عنه - حين شعر باقتراب وفاته؛ فحاسب نفسه، ونظر لأحواله في عمره، فعن ابن شماسة المهري، قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلا، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام

---

(١) رواه ابن عساكر ابن عساكر (٥٤/٢٩٣).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١٨٣).

يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي[1].



(١) رواه مسلم (١٢١).



المبحث السادس

إعطاء النفس حظها من الراحة والترويح لاستعادة النشاط



يعد إعطاء النفس حظها من الراحة والمرح من أهم أسباب دفع الكسل والملل، وتجديد الطاقة، وهو أمر مهم لمواصلة الأعمال، وأدعى لإتمام الخطط، فمن حُسن تنظيم الوقت أن يُجعل فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجِدِّ، والقلوب تَمَلُّ كما تملّ الأبدان، فلا بد من قَدْر من الترفيه المباح، قال النبي ـ ﷺ ـ: «لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة»[1]، وفي الحديث أيضا: «إن لنفسك عليك حقا»[2]، وذلك إعمال للتوازن الذي تراعيه الشريعة الغراء[3].

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦٩٥٨)، وقد سبق.

(٢) رواه البخاري، وقد سبق.

(٣) قال الكلاباذي: (فقوله ـ ﷺ ـ: «عليكم بالقصد»، كره التعمق، والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف، وما في طباعهم من الملل، والسأمة، خوفا عليهم أن يبغضوا عبادة الله، ويستثقلوا طاعته، ويملوا خدمته، فأمرهم بالاستجمام والاستراحة؛ لاسترجاع القوى، وزوال الضجر، وليكون ذلك أدعى لهم إلى حسن الطاعة لله تعالى، ومحبة للخدمة له، وألفة عبادته، كما قال النبي ﷺ: «لكني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأرقد، وآتي النساء، ألا فمن رغب عن سنتي فليس مني»؛ ألا وكل=

ومن ذلك قول النبي ـ ﷺ ـ لجابر ـ رضي الله عنه ـ: «هلّا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك»[1].

وعن عائشة: أن أبا بكر رضي الله عنه، دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان، وتدففان، وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وجهه، فقال: «دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد». وتلك الأيام أيام منى[2].

وقالت عائشة: رأيت النبي ﷺ يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم، فقال النبي ﷺ: «دعهم، أمنا بني أرفدة يعني من الأمن»[3].

وفي لفظ آخر عنها ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «كان الحبش يلعبون بحرابهم،

= قليل في سنة خير من كثير في بدعة، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «إن لله عليك حقا، ولبدنك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا»، وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: إني أنام، وأقوم، وأحسب نومتي كما أحسب قومتي، وأحسب نومتي طاعة لله تعالى، هذا الحق، فإيفاؤه إياه طاعة لله، ولأن في نومته استجلاب القوة لقومته، وتشحيذ الطبع، وحثا منه لنفسه على طاعة ربه عز وجل، وحبب عبادة الله إلى نفسه؛ لأن الله عز وجل أحب من عباده أن يحبوه، ويؤثروه، ويقبلوا بها عليه، ولذلك كلفهم الأعمال ليشتغلوا بها عما دونه، ويقبلوا بها عليه، ويتوجهوا بأدائها إليه، فإذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا، فتركوها، وفي تركها ترك الإقبال عليه، والتوجه إليه). اهـ بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (صـ٢٠٠ ـ ٢٠١).

(١) رواه البخاري (٢٩٦٧)، ومسلم (٧١٥).

(٢) رواه البخاري (٣٥٢٩).

(٣) رواه البخاري (٣٥٣٠).

فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف»، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، تسمع اللهو[١].

وعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه كان فطيما، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: «أبا عمير ما فعل النغير»، قال: فكان يلعب به[٢].

ولما خاف حنظلة الأسدي ـ رضي الله عنه ـ النفاق على نفسه، وشكى ذلك للنبي ـ ﷺ ـ، فذكر أنه لا يكون في بيته ومع عياله وفي عمله على نفس الحال التي يكون عليها مع النبي ـ ﷺ ـ، فطمأنه النبي ـ ﷺ ـ أن ذلك ليس بنفاق، وقال: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[٣].

فهكذا؛ ساعة وساعة، وللنفس حق، واللعب واللهو المباح مطلب مشروع، يعيد للنفس نشاطها، وهكذا كان شأنهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، فعن أبي الدرداء كان يقول: إني أستجم ببعض الباطل[٤]

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٠) بهذا اللفظ عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ورواه مسلم بلفظ قريب (٨٩٢)، عن عبيد بن عمير، قال أخبرتني عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٤) قال ابن قتيبة: (وقال أبو الدرداء: إني لأستجم نفسي ببعض الباطل، كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يملها.

وكان شريح يمزح في مجلس الحكم، وكان الشعبي من أفكه الناس، وكان صهيب مزاحا، وكان أبو العالية مزاحا. =

ليكون أنشط لي في الحق[1].

فهذا اللهو المباح الذي يعيد للنفس نشاطها وقع الفينة بعد الفينة من الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ، فعن ابن عباس قال: ربما قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعال أباقيك في الماء أينا أطول نفسا، ونحن محرمون[2].

وقد عرفوا ترويح العقول أيضا ـ رضي الله عنهم ـ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ قال: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفا[3].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إن لهذه القلوب شهوة وإقبالا، وإن لها فترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها[4].

= وكل هؤلاء إذا مزح لم يفحش، ولم يشتم، ولم يغتب، ولم يكذب، وإنما يذم من المزاح ما خالطته هذه الخلال، أو بعضها). تأويل مختلف الحديث (صـ٤٢١).

(١) رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ (١٩٩/٣)، وابن معين في تاريخه ـ رواية الدوري ـ (٥٤٠١)، وابن عساكر (٥٠١/٤٦)، وإسناده منقطع.

(٢) رواه الشافعي في مسنده ـ بترتيب السندي ـ (٨٠١)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٩١٣٤).

وذكره ابن كثير من طريق الشافعي، ثم قال: إسناد صحيح. مسند الفاروق (٣٠٦/١).
وصححه أيضا الألباني من رواية الشافعي. انظر إرواء الغليل (١٠٢١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العقل وفضله (٩٤)، والبلاذري (١٣٥/٢).

وذكره ابن كثير من طريق الشافعي، ثم قال: إسناد صحيح. مسند الفاروق (٣٠٦/١).
وصححه أيضا الألباني من رواية الشافعي. انظر إرواء الغليل (١٠٢١).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (١٣٣١)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٤/١)، وابن حبان في=



عن عروة، قال: كانت عائشة أروى الناس للشعر[1].

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: لا بد إلى فراغ يؤول المرء إليه في توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، فمن صار ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب نفسه من العلم[2].

فراحة الأبدان مطلب أيضا، لما في ذلك من تجديد النشاط، وحفظ للبدن، فكان الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ يراعون ذلك أيضا، فعن شويس العدوي، قال: كنا نصلي مع عمر بن الخطاب الظهر، ثم نروح إلى رحالنا، فنقيل[3].

وعن مجاهد، قال: بلغ عمر أن عاملا له لم يقل، فكتب إليه عمر: قِلْ، فإني حُدِّثت أن الشيطان لا يقيل، قال مجاهد: إن الشياطين لا يقيلون[4].

وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: إني أنام، وأقوم، وأحسب

= روضة العقلاء (صـ٣١) بهذا اللفظ من طريق معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وابن أبي شيبة (٢٦٥١١)، والدارمي (٤٦٢) بلفظ قريب، من طريق كردوس بن العباس الثعلبي كلاهما (معن، وكردوس) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣١٦).

(٢) رواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (١٠٠٣/٢).

(٣) رواه ابن سعد (١٢٧/٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٦٦٧٦)، وذكره محمد بن نصر المروزي عن مجاهد أيضا في مختصر قيام الليل (صـ١٠٤)، وهو منقطع.

نومتي كما أحسب قومتي، وأحسب نومتي طاعة لله تعالى[١].

وعن أبي يزيد المديني، قال: غدا عمر على صهيب فوجده متصبحا، فقعد حتى استيقظ، فقال صهيب: أمير المؤمنين قاعد على مقعدته وصهيب نائم متصبح فقال له عمر: ما كنت أحب أن تدع نومة ترفق بك[٢].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت إذا طلعت الشمس نامت نومة الضحى[٣].

وعن عبد الله بن الشماس، قال: أتيت أم سلمة فوجدتها نائمة – يعني: بعد الصبح[٤].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه، فإذا نعس أحدكم فلينصرف إلى فراشه فإنه أسلم له[٥].



(١) ذكره الكلاباذي في بحر الفوائد (صـ٢٠١).
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٤).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥١).
(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٠).
(٥) رواه أبو داود في الزهد (١٣٨)، وعبد الرزاق (٤٢٢٣)، وابن أبي شيبة (٣٤٥٦٦).

المبحث السابع
المداومة وعدم الانقطاع



المداومة وعدم الانقطاع من أهم أسباب النجاح في الدين والدنيا، لذا كان مبدأ إسلاميا، وسنة نبوية، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين سُئلت عن عمل النبي - صلى الله عليه وسلم -، قالت: كان عمله ديمة[1].

وفي لفظ: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: الدائم، قلت: متى كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أيضا، أنها قالت: «كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدوم عليه صاحبه»[3].

وقد أَخذ عنه ذلك النهج آل البيت الأطهار - رضي الله عنهم -؛ فعن عائشة - رضي الله عنها -: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل». وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه[4]. وكانت

(١) رواه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣) واللفظ له.
(٢) رواه البخاري (١١٣٢)، ومسلم (٧٤١).
(٣) رواه البخاري (٦٤٦٢).
(٤) رواه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

عائشة ـ رضي الله عنها ـ إذا عملت العمل لزمته[1].

وقد تلقى ذلك أيضا أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم طبقوه تطبيقا عمليا منقطع النظير، فكان أحدهم إذا عمل عملا داوم عليه.

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نهى عبد الله بن عمرو أن يكون مثل فلان، الذي كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل، فعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله، لا تكن بمثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[2].

وكان عبد الله بن عمرو يجتهد في العبادة زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم لما كبر كره أن يترك المداومة على عمل فارق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنه: (كان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار، ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا، فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه)[3].

فكان للآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ في المداومة على العمل، وعدم الانقطاع، وحث الغير على ذلك من الأمثلة الحية الشيء الكثير.

---

(١) رواه مسلم (٧٨٣).

(٢) مسلم (١١٥٩).

(٣) رواه البخاري (٥٠٥٢).

فالمداومة على العمل اليسير سببٌ في الأجر العظيم، والخير الوفير، فعن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال لبلال: «عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملت عملا أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورا، في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود قال: تعودوا الخير فإنما الخير في العادة[(٢)].

وعن ابن عمر - ﵄ - قال: قبض رسول الله - ﷺ - واستخلف أبو بكر، فبعث أبو بكر عمر بن الخطاب يحج بالناس، ثم حج أبو بكر في العام المقبل، ثم استخلف عمر، فبعث عبد الرحمن بن عوف، ثم حج عمر إمارته كلها، ثم استخلف عثمان فبعث عبد الرحمن بن عوف، ثم حج عثمان إمارته كلها[(٣)].

وعن الحسن البصري قال: عمل عثمان اثنتي عشرة سنة، ما ينكرون من إمارته شيئا[(٤)].

عن صهيب قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدا قط إلا كنت

(١) رواه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٧١).

(٣) رواه ابن عساكر (٣٩/٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٤) رواه البخاري في التاريخ الأوسط (٢١٩). قال الحافظ بن حجر: (سئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحدا من البدريين؟ قال: رآهم رؤية، رأى عثمان. ونقل أيضا عن البزار أنه لم يسمع من عثمان). انظر: تهذيب التهذيب (٢/٢٦٦).

حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ[(١)].

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لقد حج الحسن بن علي رضي الله عنهما خمسة وعشرين حجة ماشيا، وإن النجائب خلفه[(٢)].

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يقرأ سورة الكهف في كل ليلة، وكانت مكتوبة في لوح يدار بذلك اللوح معه إذا دار على نسائه[(٣)].

وعن معاوية بن أبي مزرد قال: رأيت ابن عمر يغدو كل سبت ماشيا إلى قباء ونعليه في يديه، فيمر بعمرو بن ثابت العتواري ـ بطن من كنانة ـ فيقول: يا عمرو اغد بنا، فيغدوان جميعا يمشيان[(٤)].

وعن هشام بن عروة، قال: أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وقتل وهو ابن بضع

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٣٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٥١).

(٢) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٨٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤٧٨٨)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٨٦٤٥).

(٣) رواه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (صـ١٧٠).

(٤) رواه ابن سعد (٤/١٦٣).



وستين سنة[1].

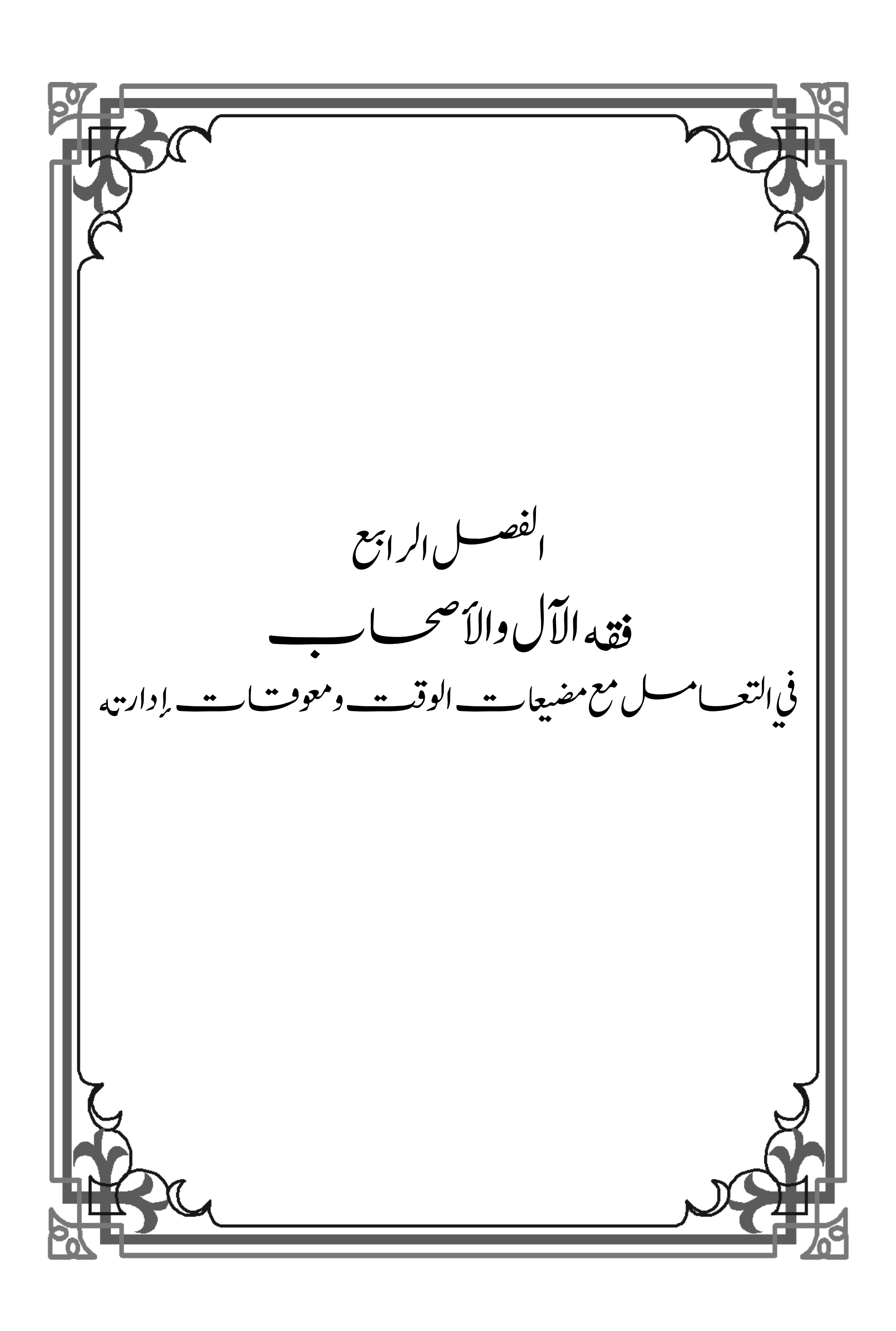
وعن نافع، أن ابن عمر، كان لا يكاد يتعشى وحده[2].

فهكذا كانوا؛ في حال من الجهد والاجتهاد والمداومة، وحفظ الأوقات، رضي الله عنهم أجمعين.



(١) رواه ابن أبي شيبة (١٩٤٨٥)، والطبراني في الكبير (٢٤٤)، البغوي في معجم الصحابة (٧٨٣) بهذا الإسناد.
وذكره الهيثمي في المجمع (١٤٨٣٤)، وقال: رواه الطبراني، وهو مرسل صحيح.
ورواه أبو نعيم في الحلية (٨٩/١)، والطبراني في تاريخه (٥٠٧/١١) عن هشام بن عروة عن أبيه به.

(٢) رواه ابن سعد (١٥٨/٤).



الفصل الرابع

فقه الآل والأصحاب

في التعامل مع مضيعات الوقت ومعوقات إدارته



الفصل الرابع

فقه الآل والأصحاب

في التعامل مع مضيعات الوقت ومعوقات إدارته



لا شك أن هناك معوقات تعوق إدارة الوقت على الوجه المذكور آنفا، وأن تلك المعوقات هي في الأصل مضيعات للوقت يجب دفعها، والحذر منها، ومن أهم معوقات إدارة الوقت الكسل، والتسويف، وإنفاق الوقت في غير محله، وقد واجه الآل والأصحاب الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ تلك المعوقات بما ينبغي أن تواجه به، بالدفع والتحذير والتنفير منها، وفي المباحث التالية نذكر تلك المعوقات وتعامل الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ معها.



المبحث الأول

الكسل



الكسل هو الفتور[١]، والتثاقل عن الشيء[٢]، ويعد الكسل من أهم المعوقات التي تعيق إدارة الوقت؛ إذ تتطلب إدارة الوقت نشاطا ومثابرة يدفعان للاستمرار عليها، حتى تؤتي ثمارها، والكسل على النقيض من ذلك، فهو خمول يتبعه حسرة وهم، قال ابن القيم: (ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس هما وغما وحزنا، ليس لهم فرح ولا سرور، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل ـ أي عمل كان ـ؛ فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان التذاذهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى)[٣].

ولما كانت النفس تميل للراحة والدعة، كان الكسل والفتور يزورانها من حين لآخر، فتحتاج النفس لما يدفع عنها هذا الكسل، ويدفعها للحفاظ على مسيرتها، ففي الحديث الشريف: «لكل عمل شرة،

(١) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/١٦٥).
(٢) انظر: الصحاح (٥/١٨١٠).
(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٦٨).

ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي، فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»[1]، والشرة النشاط، والفترة الفتور والكسل، فكان هذا من طبائع البشر، وكما يجب على العاقل استغلال النشاط، وجب عليه أيضا دفع الكسل، وعدم الانحراف عما ارتضاه لنفسه من الصواب حال الفتور.

ولما كان الكسل من أضر الأدواء على النفس، وأكثرها مهلكة للوقت والعمر، لذا تعوذ النبي - ﷺ - بالله تعالى منه، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل..»[2]، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أيضا نحوه، قال: كان رسول الله - ﷺ يتعوذ ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل..»[3].

وأرشدنا النبي - ﷺ - كذلك لأن ندفع عن أنفسنا الكسل، فعَنْ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان»[4].

وفيما يلي نذكر شيئا من فقه الآل والأصحاب - رضي الله عنهم - في دفعهم

---

(١) رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - (٦٩٥٨)، وقال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
ورواه الترمذي بلفظ آخر، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - (٢٤٥٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

(٣) رواه البخاري (٦٣٧١).

(٤) رواه البخاري (٣٢٨٩)، ومسلم (٢٩٩٤).

الكسل، وتحذيرهم منه.

فهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يحذر ابنه الفضل من الكسل، وينهاه عنه وقت النشاط، ويخبره أن ذلك هو عرف العرب وصنيعهم، فقد روى ابن الأعرابي وغيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه: مر عبد الله بن العباس بالفضل ابنه وهو نائم نومة الضحى، فركله برجله وقال له: قم؛ إنك لنائم الساعة التي يقسم الله فيها الرزق لعباده، أما سمعت ما قالت العرب فيها؟ قال: وما قالت العرب فيها يا أبت؟ قال: زعمت أنها مكسلة مهرمة منسأة للحاجة، ثم قال: يا بني! نوم النهار على ثلاثة؛ نوم حمق؛ وهي نومة الضحى، ونومة الخلق؛ وهي التي روي: قيلوا فإن الشياطين لا تقيل، ونومة الخرق؛ وهي نومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون[1].

وكما جاء التحذير من الكسل، جاء أيضا الأمر بالنشاط والسعي، والحث على عدم إهدار أوقات النشاط والبركة، فقد كان ﷺ يأمر بالتبكير في أداء الأعمال، فاستجاب أصحابه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ لذلك، وعملوا بنصيحته - ﷺ -، فعن صخرٍ الغامديِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لأمتي في بُكُورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار»، وكان صخرٌ رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته من أوّل النهار، فأثرى وكَثُر مالُه[2].

---

(١) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٠٤٧)، ورواه البيهقي في الشعب (٤٠٥/٦، برقم ٤٤٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وأحمد=

وبسند ضعيف أيضا روي نحو هذا المعنى مرفوعا أيضا من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «باكروا طلب الرزق والحوائج؛ فإن الغُدُوَّ بركة ونجاح»[1].

= (١٥٤٤٣)، وعبد بن حميد (٤٣١).

قال الترمذي: حديث صخر الغامدي حديث حسن، ولا نعرف لصخر الغامدي عن النبي ﷺ غير هذا الحديث.

وقال الشيخ الألباني: (حديث صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، وقوّاه ابن عبد البر والمنذري والحافظ ابن حجر والسخاوي.

إسناده: حدثنا سعيد بن منصور: ثنا هُشَيْمٌ: ثنا يعلى بن عطاء: ثنا عُمَارَةُ بن حَدِيدٍ عن صخر الغامدي).

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم؛ غير عمارة بن حديد، وهو مجهول كما قال غير واحد، وذكره ابن حبان في (الثقات، وقال العجلي: حجازي تابعي ثقة). اهـ صحيح أبي داود (٣٦٠/٧).

وقال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند: (حديث ضعيف دون قوله: (اللهم بارك لأمتي في بكورها) فهو حسن بشواهده).

ورواه عبد ابن حميد من حديث ابن عمر مختصرا بلفظ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها).

وقال العدوي في تعليقه على المنتخب: (سند ضعيف، وللحديث طرق يصح بها).

(١) ضعيف: رواه الطبراني في الأوسط (٧٢٥٠)، ومحمد بن عبد الرحمن البغدادي المخلص في المخلصيات (٢٣٧٨).

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا إسماعيل.

وقال الألباني: (ورواه إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا..، أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط، وابن عدي وقالا: لم يروه عن هشام إلا إسماعيل، وقال البزار: حديث غريب، وإسماعيل صالح الحديث. =

وروي بسند ضعيف جدا أيضا أن النبي - ﷺ - أمر ابنته فاطمة - رضي الله عنها - أن تقوم من نومها وتشهد وقت البركة، فعن فاطمةَ ــ رضي الله عنها وأرضاها ــ، قالت: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة مُتصبِّحة فحرَّكني برجله، ثمّ قال: «يا بنية، قومي اشهدي رزقَ ربِّك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»(١).

ومع ضعف هذه المرفوعات إلا أن الأمر بالنشاط ونبذ الكسل، واليقظة وقت الضحى والسعي على الرزق معروف معمول به، فعن جندب بن عبد الله البجلي، قال: استأذنت على حذيفة ثلاث مرات فلم يأذن

= قال الحافظ ابن حجر متعقبا عليه: قلت: بل ضعفه جماعة.

وقال ابن عدي: لا يرويه غير إسماعيل بن قيس، وعامة ما يرويه منكر). اهـ سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦/٣٦١).

(١) رواه ابن بشران في أماليه (٢٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٠٥)، وقال: إسناده ضعيف.

قال الألباني: (موضوع؛ أخرجه ابن بشران في الأمالي، والبيهقي في الشعب، كلاهما من طريق المشمعل بن ملحان القيسي: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن فاطمة بنت محمد رضي الله عنها.. فذكره. وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

قلت: كيف هذا؛ وعبد الملك بن هارون متهم بالكذب؟! فقال يحيى: كذاب. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة الاعتبار. والمشمعل بن ملحان؛ صدوق يخطئ؛ كما في التقريب.

قلت: وقد خالفه في إسناده إسماعيل بن مبشر بن عبد الله الجوهري عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي قال.. فذكر معناه. رواه البيهقي.

قلت: وإسماعيل هذا؛ لم أجد له ترجمة الآن. والحديث؛ أشار المنذري في الترغيب لضعفه؛ وعزاه للبيهقي وحده) اهـ. سلسلة الأحاديث الضعيفة (١١/٢٧٦ ــ ٢٧٧).

لي، فرجعت، فإذا رسوله قد لحقني فقال: «ما ردك؟»، قلت: ظننت أنك نائم، قال: «ما كنت لأنام حتى أنظر من أين تطلع الشمس»، قال: فحدثت به محمدا فقال: قد فعله غير واحد من أصحاب محمد ﷺ[1].

وفي ذم الكسل أيضا، وتبغيض شأن الكسول للنفوس ما روي عن ابن مسعود أنه كان يجيء كل خميس فيقوم ـ قائما لا يجلس ـ فيقول: . . .، ولا يلهينكم الأمل، فإن كل ما هو آت قريب، ألا إن البعيد ما ليس آتيا، وإن من شرار الناس بطال النهار جيفة الليل[2].

وعن أبي جعفر الباقر، أنه كان يوصي ولده جعفر بن محمد الصادق ـ رضي الله عنهما ـ، فقال وهو يوصيه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقا، وإن ضجرت لم تصبر على حق[3].

وجاءت النظرة الواقعية في ذم الكسل، والحث على العمل، وعدم الاكتفاء بالأقوال الجوفاء التي لا طائل منها، ما روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فلا ينظر رجل إلى القرابة ويعمل لما عند الله، فإن من قصر به عمله لا يسرع به نسبه)[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٨٠٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وفي إسناده انقطاع.
قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه). مجمع الزوائد (٣١٥٣).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١٨٣).

(٤) رواه ابن سعد (٣/٢٩٦).

وهذا أيضا الزبير رضي الله عنه يقلل من شأن من نام كسلا وقت السعي على الرزق، فعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير - رضي الله عنه - قال: «إني لأزهد في الرجل يتصبح»[١].

وذكر الحسن عن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان يأمر بالسعي، وعدم التواكل على الغير، قال الحسن: رأى عمر جارية تطيش هزالا، فقال: من هذه؟ فقال عبد الله: هذه إحدى بناتك قال: وأي بناتي هذه؟ قال: بنتي قال: ما بلغ بها ما أرى؟ قال: عملك! لا تنفق عليها قال: إني والله ما أعول ولدك، فاسع عُلهم أيها الرجل[٢].

ولما كان الكسل مما تميل إليه النفس فقد جاء الأمر بعدم اتباع النفس هواها، لما في ذلك من المضرة عليها، فعن أبي هريرة، قال: (كان عمر بن الخطاب إذا خطب الناس يقول في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب، ليس في ما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور، وما فجور عبد خلق من تراب، وإلى التراب يعود، وهو اليوم حي، وغدا ميت؟ اعملوا يوما بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى)[٣].

وقال ابن الحنفية ـ أيضا ـ: (شر عادات المرء اتباعه هواه)[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٥٤٤٥)، وقال ابن أبي شيبة: التصبح نومة الضحى.

(٢) سير أعلام النبلاء (راشدون/٨٤).

(٣) رواه أبو داود في الزهد (٤٨).

(٤) رواه البلاذري (٣/٢٧٠).

عن محمد بن علي بن عبد الله، أن العباس قال لعبد الله بن العباس: (يا بني إن الله قد بلغك شرف الدنيا، فاطلب شرف الآخرة، واملك هواك، واحرز لسانك، إلا مما لك)[1].

هذا، ولا يمكن حصر الآثار التي فيها تطبيقهم العملي لذلك، إذ كانت حياتهم كلها نشاطا، ودفعا للكسل.



(١) رواه البلاذري (٤/١٧).



المبحث الثاني
التسويف

مرادنا بالتسويف هنا هو تأجيل العمل المطلوب في الوقت الحالي لوقت أبعد منه بغير عذر يدعو لذلك، ولا شك أن التسويف بهذا المعنى من أهم معوقات إدارة الوقت، إذ التسويف في حقيقته يتعارض مع إدارة الوقت من حيث المضمون، فضلا عن إهداره للوقت، وتضيعه له.

ويعد التسويف من الآفات الدالة على ضعف الإرادة، وبالتالي ضعف العمل والنتيجة، كما أنه مدعاة لتراكم الأعمال، وبالتالي ترك بعضها أو كلها؛ فيضيع من الواجبات ما يضيع، ومرجع ذلك إلى طول الأمل عند الإنسان، وأن ما لم يفعله اليوم يمني نفسه أنه بإمكانه أنه يفعله غدا، والنبي - ﷺ - حذر من طول الأمل، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل)[1].

وقد نهى النبي - ﷺ - آل بيته عن التسويف، وطول الأمل، وتأجيل العمل المتاح الآن لوقت بعده، تسويفا وطولا للأمل، فعن علي بن

(١) رواه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦).

حسين، أن حسين بن علي رضي الله عنهما أخبره أن علي بن أبي طالب، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة - عليها السلام - بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: «ألا تصلون؟»، فقال علي: فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ذلك، ولم يرجع إليه شيئا، ثم سمعه وهو مدبر، يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٤][1].

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»[2].

وجاء الأمر منه - صلى الله عليه وسلم - بالمبادرة بالأعمال قبل إتيان الشواغل أو الموانع، والتي ربما تأتي فجأة، لذا كان الأمر بالمبادرة بالأعمال وعدم التسويف والاغترار بالسلامة وطول الأمل، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم»[3].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة)[4].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٤٧)، واللفظ له، ومسلم (٧٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٣) رواه مسلم (١١٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٧).

عن ابن عمر، أن النبي ﷺ، قال: «بادروا الصبح بالوتر»[1].

فلا يمني أحد نفسه بالسلامة والمعافاة، فيسوف الأعمال المنوطة به، ركونا إلى ذلك، ثم ما يلبس أن يتفاجأ بالشواغل والموانع، كما يمني أحدهم نفسه بطول الليل وأنه سيدرك الوتر قبل الفجر، فيرقد على غير وتر، ثم يقوم وقد أذن الفجر، فجاء التوجيه النبوي بالمبادرة بالأعمال، وعدم التسويف.

وقد استجاب لذلك الآل والأصحاب - رضي الله عنهم -، وعملوا بسنته - ﷺ -، ولم يركنوا لطول أمل، ولا اغتروا بالسلامة والمعافاة، فروي عن علي - رضي الله عنه - أيضا أنه قال: (إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق)[2].

وقد جاء التحذير من آفة التسويف على لسان الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ولعلمهم بخطورتها على الفرد والجماعة جاء التخويف منها، والأمر بتجنبها مكتوبا موصًى به، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عنه أنه كتب إلى أبي موسى: «أما بعد، فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلم تدروا أيها تأخذون فأضعتم[3].

(١) رواه مسلم (٧٥٠).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٥٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٢٩٥)، عن الضحاك عن عمر - رضي الله عنه -، ورواه ابن شبة (٧٦٩/٢)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ (١٣٦)، عن الحسن عنه، ورواه الطبراني في تاريخه (٢١٣/٤)، عن عمر بن مجاشع قال: قال عمر..، وألفاظهم متقاربة.

وهذا ابن مسعود - رضي الله عنه - يشير إلى أن التسويف للشيطان فيه نصيب، فقد روى أبو داود في الزهد، عن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: الإثم حواز القلوب، فما كان من نظرة فللشيطان فيها مطمع، قال أبو داود: يعني بنظرة تأخير الشيء[1].

وأبو بكر - رضي الله عنه - يذكر في خطبه بالتعجيل بالعمل، وعدم الركون لامتداد الأعمار وطول الأمل؛ إذ الموت يقطع كل ذلك، ويضرب المثال على كلامه - رضي الله عنه -، فعن يحيى بن أبي كثير، قال: كان أبو بكر الصديق لا يدع هذا الكلام أن يقوله كل جمعة في خطبته: (أين الوضأة الحسنة وجوههم، والمعجبون بشبابهم؟..، قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا كلا شيء، وأصبحوا قد فقدوا، وأصبحوا في ظلمات القبور، الوحا الوحا، ثم النجا النجا[2])[3].

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (١٢٥)، والطبراني في الكبير (٨٧٤٩).
وذكره الهيثمي، وذكر له عدة ألفاظ متقاربة، ثم قال: رواه الطبراني كله بأسانيد رجالها ثقات. اهـ مجمع الزوائد (٨١٩).
قال أبو عبيد: (ما حك في نفسك يقال: ما حك في نفسي الشيء، إذا لم تكن منشرح الصدر به، وكان في قلبك منه شيء..، ومنه حديث عبد الله: (الإثم حراز القلوب) يعني ما حز في نفسك وحك فاجتنبه فانه الإثم). اهـ غريب الحديث (١٣٩/٣).
قلت: قوله حراز، كما في بعض روايات الخبر.

(٢) قال ابن سيده: (والوحا: العجلة. يقولون: الوحا الوحا، والوحاء الوحاء، أي الإسراع). اهـ المحكم والمحيط الأعظم (٣٨/٤).
وقال أيضا: (النَّجا النَّجا والنَّجاء النَّجاء: أَي السُّرعة والذهاب). اهـ المخصص (٤٤٩/٤).

(٣) رواه أبو داود في الزهد (٢٧).

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أيضا قال: (اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم، قبل أن تنقضي آجالكم، فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء، فإن وراءكم طالبا حثيثا مره سريع)[1].



(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٣١)، والخراج لأبي يوسف (٢٢/١)، والزهد لهناد (٤٩٥)، والطبري في تاريخه (٢٢٤/٣)، والبيهقي في الشعب (١٠١١٠)، (١٦٢/١٣).



المبحث الثالث
بذل الوقت فيما لا نفع فيه أو فيما غيره خيرٌ منه

بذل الوقت فيما لا ينفع إضاعة له، وبذله في الذي غيره خير منه، استهلاك للعمر في غير كبير نفع، فإضاعة الوقت بلا فائدة ليس من معوقات إدارة الوقت فحسب، وإنما هو مهلكة للعمر، وكثيرا ما يحمل آثاما مضرة، لذا جاء التحذير والتنفير منه شديد اللهجة، قوي العبارة.

وعن ابن مسعود قال: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة(١).

وقد نهى النبي ـ ﷺ ـ عن ذلك، فكان ـ ﷺ ـ يكره لنا أن يمضي الوقت في أمور لا نفع فيها، وأخبرنا ـ ﷺ ـ عن كراهية الله تعالى لأعمال تهلك الأوقات بلا فائدة، فضلا عن الإثم الذي تحمله، ونقل لنا سنته ـ ﷺ ـ في ذلك من بعده أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وعملوا بها.

فعن الشعبي، قال: حدثني كاتب المغيرة بن شعبة، قال: كتب معاوية

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٦٢)، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه أبو نعيم في الحلية (١٣٠/١)، وأبو داود في الزهد (١٧٤).

إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي ﷺ، فكتب إليه: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)[1].

وعن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه كان: لا يبالي بتأخير العشاء إلى ثلث الليل، ولا يحب النوم قبلها، ولا الحديث بعدها[2].

أما السمر إن كان فيما فيه نفع فقد جاء به الأثر عن النبي - ﷺ -، فعن عمر قال: كان رسول الله - ﷺ - يَسْمُرُ مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما[3]. ويؤيد هذا الفهم أيضا ما قاله مجاهد، فقد روي عنه أنه قال: لا بأس بالسمر بعد العشاء للفقه[4].

وهذا عمر - رضي الله عنه - يطبق ما تلقاه عن النبي - ﷺ - فعن خَرَشَةَ بن الْحُرّ قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب الناس على السمر بعدها[5].

وفي لفظ آخر عن خَرَشَة رأى عمر بن الخطاب قوما سمروا بعد العشاء ففرق بينهم بالدرة، فقال: أَسَمَرًا من أوله، ونَوْمًا من آخره[6].

(١) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).
ورواه مسلم بنحوه من حديث أبي هريرة أيضا (١٧١٥).

(٢) رواه البخاري (٧٧١)، ومسلم (٦٤٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦٦٨٩).

(٤) رواه عبد الرزاق (٢١٤٣).

(٥) رواه عبد الرزاق (٢١٣٢).

(٦) رواه عبد الرزاق (٢١٣٤).

وعن عروة قال: سمعتني عائشة وأنا أتكلم بعد العشاء الآخرة، فقالت: «يا عُرَيْ ألا تريح كاتبك، فإن رسول الله ﷺ لم يكن ينام قبلها ولا يتحدث بعدها[1].

وفي رواية أخرى عن هشام بن عروة، قال: سمعت أبي يقول: انصرفت بعد العشاء الآخرة فسمعت كلامي عائشة رضي الله عنها خالتي، ونحن في حجرة، بيننا وبينها سقف فقالت: يا عروة أو يا عرية ما هذا السمر؟ إني ما رأيت رسول الله ﷺ نائما قبل هذه الصلاة ولا متحدثا بعدها، إما نائما فيسلم أو مصليا فيغنم[2].

وكانت فاطمة بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - تحذر من السفه وعواقبه، وتمدح المروءة وأهلها، فعن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي قال جمعتنا أمنا فاطمة بنت الحسين بن علي فقالت: يا بني والله إنه ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئا، ولا أدركوا ما أدركوه من لذاتهم، إلا وقد ناله أهل المروءات بمروءاتهم،

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٥٤٧)، وقال الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان: (إسناده صحيح على شرط مسلم). اهـ

وورواه عبد الرزاق (٢١٣٧) بسند فيه مبهم، بلفظ قريب.

وورواه أحمد (٢٦٢٨٠) عن القاسم عن عائشة - رضي الله عنها - بلفظ قريب أيضا.

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (صـ١١٥).

وورواه عبد الرزاق (٢١٣٧) بسند فيه مبهم، بلفظ قريب.

وورواه أحمد (٢٦٢٨٠) عن القاسم عن عائشة - رضي الله عنها - بلفظ قريب أيضا.



فاستتروا بجميل ستر الله ﷻ[1].

وعن ابن عباس: إياك والكلام فيما يعنيك إذا كان في غير موضعه، ولا تمار سفيها ولا حليما، فإن السفيه يؤذيك وإن الحليم يقليك[2].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: دع الكلام فيما لا يعنيك فإنه فضل، ولا تتكلم فيما يعنيك إذا لم تصب موضعه فإنه جهل[3].

وروي نحو هذا المعنى أيضا عن أبي هريرة، قال: لا خير في فضول الكلام[4].

وعن حميد قال: أطلنا الحديث ذات ليلة ثم دخلنا على أنس بن مالك فقال: أطلتم الحديث البارحة، أما إن حديث أول الليل يضر بآخره[5].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -: دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك[6].

وقد كثر التحذير من إضاعة الوقت في الكلام غير النافع لأنه كثيرا

---

(١) رواه ابن عساكر (٥٣/٣٨٧).

(٢) رواه البلاذري (٤/٤٥).

(٣) رواه البلاذري (٤/٤٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧١٠).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧٦٢).

(٦) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (صـ٥٠٧).



لا يخلو من الإثم، فعن حصين بن عقبة، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن من أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل[١].

وكانوا ينهون أيضا عن اللهو غير المباح المضيع للوقت المفسد لأمر الدين والدنيا، المضيع للوقت.

فعن ابن عمر أنه وجد مع بعض أهله الأربع عشرة، فضرب بها رأسه[٢].

وعن نافع قال: كان ابن عمر يكسر النرد والأربعة عشر[٣].

وعن، شقيق، قال: كتب عمر: إن الدنيا خضرة حلوة، فمن أخذها بحقها كان قمنا أن يبارك له فيها، ومن أخذها بغير ذلك كان كالآكل الذي لا يشبع. وفي ذلك الاكتفاء بالنفاع، وترك الزائد عن ذلك[٤].

وقد جعل سلمان ـ رضي الله عنه ـ الناس ثلاث منازل فيما عملوا في أوقاتهم؛ ففائز وخاسر ومن لم يفز ولم يخسر، فعن طارق بن شهاب، أنه بات عند سلمان ينظر اجتهاده قال: فقام فصلى من آخر الليل فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس فإنهن

(١) رواه أبو داود في الزهد (١٥٠).

(٢) رواه ابن سعد (٤/١٥٥).

والأربعة عشر اسم للعبة كانت معروفة بهذا الاسم وقتها.

(٣) رواه ابن سعد (٤/١٦٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٤٥).

كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة، فإذا أمسى الناس كانوا على ثلاث منازل فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم لا له ولا عليه، فرجل اغتنم ظلمة الليل، وغفلة الناس، فقام يصلي حتى أصبح فذلك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس، وظلمة الليل، فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له، ورجل صلى العشاء، ثم نام فذلك لا له ولا عليه، فإياك والحقحقة، وعليك بالقصد والدوام[١].

وترى نحو هذا المعنى في وكلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أيضا، فعن سالم بن أبي الجعد، قال: قال عبد الله بن مسعود: لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار، قيل: وما قطرب نهار؟ قال: يقطع نهاره بالحديث[٢].



(١) رواه عبد الرزاق (١٤٨).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (١٧٧).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: (قطرب) النمل الأسود الكبار تكون في المفاوز، تنقل الحبوب إلى جحرها، فربما تنقل شيئا كثيرا، ولا تأكل منها إلا يسيرا). اهـ، انظر: سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (صـ٤٧٧).



الخاتمة

لا شك أن الوقت أثمن ما يملكه الإنسان ؛ فوقت الإنسان هو عمره الذي منحه الله تعالى له ؛ فحفظ الوقت هو حفظ للعمر ، وهو وعاء لكل عمل يعمله الإنسان ، وقد جاء الكتاب والسنة المطهرة بما يبرز شرف الوقت ، وعظم قيمته .

ولما كان الآل والأصحاب ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ خير من عمل بالكتاب والسنة ، وما تضمنته الشريعة الغراء من حكم وأحكام ، كان هديهم في تعاملهم مع الوقت ، وإدارتهم له محل اهتمام كبير لمن أراد القدوة الحسنة في ذلك .

فكان ما أثر عنهم في إدارة الوقت خير تطبيق لما جاءت به الشريعة من رعاية كافة الجوانب الإنسانية ، وإيفاء كافة الحقوق الشرعية والدنيوية ، والتوازن بين الجوانب المادية والروحية ، وإيفاء حقوق الله تعالى ، والعباد ، والنفس ، وتوزيع الوقت بين ذلك كله ، بلا إفراط ولا تفريط ؛ فكانوا خير قرن مطهرين ، رضي الله عنهم أجمعين .

نسأل الله ﷻ أن يجمعنا بهم مع نبينا ـ ﷺ ـ في جنته ، وأن يرزقنا حسن اتباعهم ، والسير بسيرتهم ؛ آمين ، والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع



❁ الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

❁ الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ)، تحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

❁ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

❁ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ)، تحقيق: أد. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

❁ الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن



مفرج، شمس الدين المقدسي، الصالحي، الحنبلي (٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

* إدارة الوقت، د. إبراهيم الفقي، الناشر: إبداع للإعلام والنشر، مصر، ٢٠٠٩م.

* إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحارة، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

* إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي.

* الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

* استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: خالد بن أحمد الصُّمَي بابطين، الناشر: دار البشائر الإسلامية.

* الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٥هـ.



❊ أعمار الأعيان، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، المحقق: د. محمود الطناحي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❊ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

❊ آل البيت في المكتبة العربية، عبد العزيز الطباطبائي (١٩٩٦م)، سلسلة آثار المحقق الطباطبائي، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

❊ أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران البغدادي (٤٣٠هـ)، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

❊ الأموال لابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني، المعروف بابن زنجويه (٢٥١هـ)، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

❊ أنيس السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي، تحقيق: نبيل بن مَنصور البصارة، الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

❊ أهل البيت بين مدرستين، محمد سالم الخضر، الناشر: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٨م.

* الأوائل لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت.

* بحر الفوائد = معاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

* بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

* التاريخ الأوسط، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث ـ حلب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

* تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

* تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث ـ بيروت، الطبعة: الثانية ـ ١٣٨٧ هـ.

* تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك.

* تاريخ المدينة، عمر بن شبة النميري البصري، أبو زيد (٢٦٢هـ)، تحقيق:



فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد ـ جدة، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

* تاريخ ابن معين، رواية الدوري، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، البغدادي (٢٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

* تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (٣٤٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

* تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي ـ مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

* تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

* ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، مؤلف الأمالي: يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ)، ترتيب: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

* التفسير من سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (٢٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

* تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

* تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني ـ القاهرة.

* تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

* تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

❊ جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

❊ جامع التحصيل في أحكام المراسيل، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (٧٦١هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

❊ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

❊ الجامع في الحديث، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (١٩٧هـ)، تحقيق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد ـ كلية أصول الدين ـ القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي ـ الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.

❊ الجامع الكبير = سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ)، المحققون: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ـ مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

* جزء فيه مجلسان من أمالي أبي الحسين بن بشران، علي بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي أبو الحسين البغدادي المعدل (٤١٥هـ)، تحقيق: أبي عبد الله حمزة الجزائري، الناشر: الدار الأثرية، ضمن مجموع كتاب سلوك طريق السلف وستة أجزاء أخرى، الطبعة: الأولى ٢٠٠٩م.

* الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، الناشر: مكتبة الصديق ـ الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة ـ الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

* جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

* جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

❁ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

❁ حقوق آل البيت، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

❁ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

❁ الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

❁ الخراج، المؤلف: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

❁ الخطب والمواعظ لأبي عبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

❁ ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن،



السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

* رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (٣٢٤هـ)، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤١٣هـ.

* روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

* الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله (٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

* الزهد، أبو بكر ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد، البغدادي الأموي القرشي (٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

* الزهد، أبو داود السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، الأزدي (٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

❊ الزهد، هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب، أبو السَّرِي، التميمي الدارمي الكوفي (٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

❊ الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

❊ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي، الألباني (١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

❊ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

❊ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

❊ سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (٢٢٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية ـ الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

❊ السنن الصغير للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي،



دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

❊ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

❊ السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

❊ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة، (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

❊ السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

❊ السير، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري (١٨٨هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

❊ سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين



بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

* سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

* شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

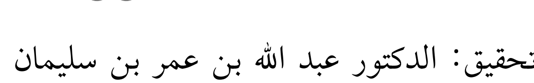
* شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

* شرح الفصيح، ابن هشام اللخمي (المتوفى ٥٧٧ هـ)، تحقيق: د. مهدي عبيد جاسم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

* شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.

* شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

* الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ)،



تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

* شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

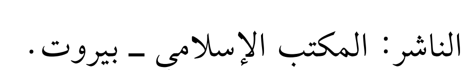
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.

* صحيح الترغِيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

* صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

* صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي،



الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

* صحيح أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

* صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن، الطبعة: الأولى.

* الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (١٤٢٢ هـ)، الناشر: دار الآثار ـ صنعاء، اليمن، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

* صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، اعتنى به: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم ـ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

* الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

* عصرنا والعيش في زمانه الصعب، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

* العقل وفضله، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، الناشر: مكتبة القرآن ـ مصر.



❊ العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (٢٣٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

❊ العمر والشيب، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: د. نجم عبد الله خلف، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

❊ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

❊ غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني ـ بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

❊ الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة: الثانية.

❊ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

❊ فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٩٥هـ)،



الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

❊ فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ)، تحقيق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

❊ فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، الناشر: دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

❊ فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

❊ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م.

❊ فوائد ابن بشران عن شيوخه، الجزء الأول والثاني ـ ضمن مجموع مطبوع باسم الفوائد لابن منده ـ، علي بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي أبو الحسين البغدادي المعدل (٤١٥هـ)، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.

❊ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

❊ قصر الأمل، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

❊ قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة الحلبي الحنفي (١٤١٧هـ)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة: العاشرة.

❊ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

❊ كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن ـ الرياض.

❊ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٠٧هـ.

❊ كلام الليالي والأيام، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: محمد



خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

❊ الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

❊ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني ـ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

❊ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي (٧١١هـ)، الناشر: دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ ١٤١٤هـ.

❊ المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية البحرين، دار ابن حزم، لبنان، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

❊ المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.



❁ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

❁ مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

❁ محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

❁ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

❁ مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي (٨٤٥هـ)، الناشر: حديث أكادمي، فيصل اباد ـ باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

❁ مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

❁ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)،



تحقيق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

❊ المخلصيات، وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص (٣٩٣هـ)، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

❊ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

❊ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ ـ ١٩٩٠م.

❊ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

❊ مسند الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه



ومراجعة أصوله: يوسف علي الزواوي الحسني، وعزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عام النشر: ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

* مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم = مسند الفاروق، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

* مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٢٩٢هـ)، المحققون: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

* مسند ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

* مسند الدارمي = سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

* مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

* مسند الروياني، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (٣٠٧هـ)، تحقيق:



أيمن علي أبو يماني، الناشر: مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

* مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

* المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

* مسند عبد الله بن عمر، أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي البغدادي ثم الطرسوسي (٢٧٣هـ)، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ.

* مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

* مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

* مشيخة ابن البخاري، أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس، جمال الدين ابن الظاهري، الحنفي (٦٩٦هـ)، تحقيق: د. عوض عتقي سعد الحازمي، الناشر: دار عالم الفؤاد ـ مكة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

* المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي ـ الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

* المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

* المعجم، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، ابن المقرئ (٣٨١هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

* معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

* المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين ـ القاهرة.

* معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان ـ الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

* المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو



القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية.

* معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار الوفاء، المنصورة ـ مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

* المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (٢٧٧هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

* مفاتيح الغيب = التفسير الكبير = تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

* المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ ـ ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو ـ أحمد محمد السيد ـ يوسف علي بديوي ـ محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م.

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.



❁ مكارم الأخلاق، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن ـ القاهرة.

❁ المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (٢٤٩هـ)، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، الناشر: دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

❁ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

❁ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

❁ موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

❁ المؤتَلِف والمختَلِف، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.



❋ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

❋ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عصام الصبابطي ـ عماد السيد، الناشر: دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

❋ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحميد بن صالح آل أعوج، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

❋ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

❋ نسخة أبي مسهر، أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن أبي ذرمة الغساني الدمشقي (٢١٨هـ)، ونُسخ أخرى لغيره من أهل العلم، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث ـ طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

❋ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.



❊ وصايا العلماء عند حضور الموت، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (٣٧٩هـ)، تحقيق: صلاح محمد الخيمي والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

❊ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر ـ بيروت.



قائمة بعناوين الأبحاث الجديدة لمشروع

(تراث الآل والأصحاب)

❊ القرآن في حياة الآل والأصحاب.

❊ أدب التربية في تراث الآل والأصحاب: نماذج من تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم.

❊ السفر وآدابه في تراث الآل والأصحاب.

❊ التجارة والمكاسب في تراث الآل والأصحاب: آداب وقدوات ونماذج متنوعة.

❊ آداب معاملة الكبار والمرضى في تراث الآل والأصحاب.

❊ الإعاقة في تراث الآل والأصحاب: نماذج وآداب وعبر.

❊ آداب التعامل مع غير المسلمين في تراث الآل والأصحاب.

❊ العبادة والزهد في تراث الآل والأصحاب.

❊ الذكر والدعاء في تراث آل البيت.

❊ فضل العلم وآداب طلبه في تراث الآل والأصحاب.

❊ آداب التعامل مع المرأة في تراث الآل والأصحاب.

❊ آداب العشرة في تراث الآل والأصحاب: استلهام للقيم الزوجية الناجحة في سير سلفنا الصالح.

❊ آداب الحوار والاختلاف في تراث الآل والأصحاب: شواهد وآداب.

❊ قضايا نسائية: قراءات في تراث الآل والأصحاب.

❊ الأطفال في رحاب الآل والأصحاب: بحث في أسس المعالجة الفنية والأدبية لنشر تراث الآل والأصحاب للمراحل العمرية الصغيرة.

❊ الوقف في تراث الآل والأصحاب.

❊ الفَقْد في تراث الآل والأصحاب: دراسة في الجوانب الإيمانية والإنسانية.

❊ المهارات الإدارية في تراث الآل والأصحاب.

❊ إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب.

❊ الطعام وآدابه في تراث الآل والأصحاب.

❊ المزاح وآدابه في تراث الآل والأصحاب.

❊ آداب التعامل مع الحيوان في تراث الآل والأصحاب.

خاطرة حول الكتاب

لم يخلق الله الإنسانَ عبثًا، وإنما خلقه لغاية عظيمة، هي عبادته سبحانه وتعالى، ولأجل هذه الغاية النبيلة سخّر الله له ما في السماوات وما في الأرض، وآتاه من نعمه ما لا يحصى، ليعمل صالحًا فيما آتاه. ولا شكّ أن كل عملٍ يعمله الإنسان يستغرق قدرًا من الزمن، وهذا هو الوقت، الذي يشكل مجموعُه عمرَ الإنسان، فكلما أحسن الإنسان في إنفاق وقته ارتفعت درجته في الدارين.

وحسن إدارة الإنسان لوقته لا يأتي من فراغ، بل يكون بالتخطيط والتنظيم الجيد للوقت، مع وضوح الأهداف والغايات.

ولما كان الإنسان بحسب طبيعته وما جُبل عليه ليس كاملًا؛ فهو بحاجة إلى أسوات يتأسى بها، وليس أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم والآل والأصحاب قدوةً نتخذها في تعاملهم مع الوقت وإدارته. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث.

هاتف : ٢٢٥٦٠٢٠٣ - فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦

www.almabarrah.net

E.mail : almabarrh@hotmail.com